



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مذكرة بعنوان:

زنج الجزائر دراسة في العادات و التقاليد

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة تاريخ

تخصص: المغرب العربي المعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكامل عطية

إعداد الطالبتين:

رفيقة بعضي

سليمة خوخة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
موسى بن موسى	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
عبد الكامل عطية	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
حناي محمد	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 2025 / 2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى و جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)

" سورة الحجرات: الآية 13 "

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا
لأبيض على أسود، إلا بالتقوى "

الاهداء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم واخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

ماسلكنا البدايات إلا بتيسيره

وما بلغنا النهايات إلا بتوفيقه

وما حققنا الغايات إلا بفضلته فالحمد لله الذي وفقني لتتضمن هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية
إلى روح والدي الغالي الذي رحل عن الدنيا ولكن لم يرحل عن قلبي رحمه الله وأسكنه
الفردوس الأعلى

إلى والدتي الحبيبة أطال الله في عمرها فكننتي السند والدعاء فلك

كل الشكر والحب إلى إخوتي وأخواتي كل باسمه فأتمنى أن أكون مصدر فخركم كما كنتم
دائماً مصدر قوتي

رفيقة بعضي

الإهداء الثاني

إلى روح أمي الطاهرة،

التي غادرت هذه الدنيا، لكن ذكراها لا تغادرني أبدًا...

إلى من كانت الدعوة منها تفتح لي أبواب النجاح،

إلى من علمتني الصبر، وغرست في نفسي الأمل،

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى روحك الطاهرة،

سائلًا الله أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناتك،

وأن يرزقك الفردوس الأعلى، ويجعل قبرك روضة من رياض الجنة و

إلى والدي العزيز، الذي كان السند والداعم والموجه في كل خطوة، جزاك الله عني كل خير،

وأطال في عمرك بالصحة والعافية.

إلى إخوتي وأخواتي، شركاء الدرب، ومصدر القوة والتشجيع،

كل الحب والتقدير لكم.

وإلى أساتذتي الكرام، الذين لم يبخلوا بعلمهم ونصحهم،

أهدي إليكم هذا العمل عربون شكر وامتنان.

وإلى كل من دعمني بكلمة، أو دعاء، أو ابتسامة...

لكم جميعًا أطيب التحيات والتقدير.

سليمة خوذة

الشكر و العرفان

قبل كل شيء نشكر الله عز وجل ونحمده الذي رزقنا من العلم ما لم نعلم

ووهبنا من القوة والصبر ما نحتاجه للوصول إلى هذا المستوى

وإتمام دراستنا وعملنا المتواضع هذا .

نفعنا الله به وإياكم كما نتقدم بالشكر الجزيل للدكتور عطية عبد الكامل الذي لم يبخل علينا

بنصائحه وتوجيهاته التي كانت أكبر سند في درب إنجاز هذا العمل.

ملخص الدراسة

زنوج الجزائر هم أحد مكونات المجتمع الجزائري التي لديها حضور إجتماعي وديني كما لها عادات وتقاليد وثقافة التي تشكل أحد اوجه التنوع في الهوية الوطنية وقد تطرقت الدراسة إلى فهم فئة الزنوج التاريخية والجغرافية ولهم تأثيرات.التي ساهمت في اندماجهم ضمن النسيج الإجتماعي الإقتصادي والثقافي الفني الجزائري .

كما ركزت على أبرز المعتقدات الدينية قبل وبعد الإسلام ومن أبرز مظاهرهم الثقافية اللغة واللباس والموسيقى والرقص بإعتبارها عناصر حية تعبر عن تراث جماعي مشترك.

تناولت الدراسة كذلك دور زنوج الجزائر في المجتمع والسياسة ومساهماتهم في الثورة التحريرية.

إعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي . وارتكزت على مصادر تاريخية وثقافية متنوعة . كما دعمت بمقالات حديثة وخلصت الدراسة إلى أن زنوج الجزائر يشكلون جزءا أصيلا في الذاكرة الجماعية.

Abstract:

The Black Algerians are one of the components of Algerian society with a significant social and religious presence. They also possess customs, traditions, and a culture that represent one of the facets of diversity within the national identity.

This study explored the historical and geographical understanding of the Black community, highlighting their influence and how they contributed to their integration into the Algerian socio-economic, cultural, and artistic fabric.

The study also focused on their main religious beliefs before and after Islam, and on their prominent cultural aspects such as language, clothing, music, and dance—considered living elements that reflect a shared collective heritage.

It further examined the role of Black Algerians in society and politics and their contribution to the liberation revolution.

The study adopted a descriptive historical approach, relying on various historical and cultural sources and was supported by modern articles. It concluded that Black Algerians form an integral part of the collective memory of the nation.

مقدمة

تُعدّ المجتمعات البشرية، عبر التاريخ، تجسيدا حياً للتعدد والتنوع في أبعادهما العرقية والثقافية والاجتماعية. وإذا كان التنوع أحد الخصائص الأساسية للمجتمعات المركبة، فإنّ الجزائر - كبلد إفريقي عربي إسلامي - تشهد بدورها تعدداً إثنياً وثقافياً يعكس تراكمات تاريخية من الهجرات، والتفاعلات، والتحوّلات الاجتماعية، وهو ما أفرز فسيفساء بشرية تبرز ضمنها جماعة "زواج الجزائر" كواحدة من الفئات التي ظلت حاضرة في المشهد الاجتماعي.

لقد كان للزواج - خاصة في مناطق الجنوب الجزائري مثل بشار، أدرار، تمنراست، غرداية، ورقلة وغيرها - حضورٌ واضح سواء من حيث التوزيع الجغرافي أو الأدوار الاقتصادية والاجتماعية التي اضطلعوا بها عبر العصور، سيما مع ارتباطهم بالقوافل الصحراوية والتبادلات التجارية والثقافية بين إفريقيا جنوب الصحراء وشمالها. غير أنّ ما يميز هذه الفئة لا يقتصر على بعدها التاريخي فحسب، بل يتعداه إلى رصيد غني من العادات والتقاليد التي تشكّل إحدى العلامات الثقافية المميزة للهوية الإفريقية في الجزائر.

وبالرغم من هذا الثراء، فإنّ الدراسات المتعلقة بهذه الفئة لا تزال قليلة ومحدودة، وغالباً ما عُرضت من منطلقات خارجية أو سطحية، دون التعمّق في فهم البنى الثقافية والرمزية التي تسكن حياة الزوج في الجزائر، خصوصاً في ما يتعلق بالممارسات اليومية، والفنون التعبيرية، والعلاقات الاجتماعية، والمعتقدات، والمظاهر الاحتفالية. وهو ما يجعل من دراسة "العادات والتقاليد" مدخلاً مهماً لفهم هذا المكوّن الاجتماعي والثقافي المهم.

. وفي خضم هذا الطرح، تبرز إشكالية جوهرية تسعى هذه المذكرة إلى الإجابة عنها،

وهي:

إلى أي مدى تعبّر العادات والتقاليد لدى زوج الجزائر عن خصوصية ثقافية وهوية جماعية متميزة داخل المجتمع الجزائري؟ وكيف أسهمت هذه الخصوصية في بناء علاقاتهم الاجتماعية، واندماجهم أو تهميشهم ضمن النسيج الثقافي الوطني؟

للبحث في هذه الإشكالية. يمكن صياغة الفرضيات التالية :

- 1-الفرضية الأولى: تعبر العادات والتقاليد لدى زوج الجزائري الثقافي والهوية الجماعية تتمثل في اللغة اللباس الموسيقى الطقوس الاجتماعية .
- 2-الفرضية الثانية : أسهمت هذه الخصوصية في بناء علاقات إجتماعية قائمة على التماسك الداخلي والانفتاح على الآخر وساعدت في تثبيت الوجود الزنجي كعنصر أصيل من الهوية الجزائرية الجامعة.

دوافع اختيار موضوع

جاء اختيار موضوع "زواج الجزائر: دراسة في العادات والتقاليد" نتيجةً لجملة من الدوافع العلمية والمعرفية والاجتماعية، أبرزها:

1. الفراغ المعرفي والبحثي: لاحظنا قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت فئة زواج الجزائر بجديّة واهتمام، سواء من حيث أصولهم أو ثقافتهم أو نمط عيشهم، رغم حضورهم التاريخي والاجتماعي في العديد من مناطق الجنوب الجزائري. وهو ما يفرض علينا كباحثين محاولة سدّ هذا النقص، وتقديم معالجة علمية موضوعية

2. إبراز التعدد الثقافي للمجتمع الجزائري: يأتي هذا البحث كمساهمة في إبراز ثراء وتنوع الهوية الثقافية الجزائرية، وتفكيك التصورات الأحادية التي غالبًا ما تُقصر الفئات الإثنية والثقافية الأقل حضورًا في الخطاب الرسمي. فالزواج يمثلون مكونًا من مكونات الهوية الوطنية، وجزءًا من الذاكرة الجمعية، ويستحقون أن يكونوا ضمن خارطة الاهتمام الأكاديمي.

3. أهمية العادات والتقاليد في بناء الهوية: العادات والتقاليد الزنجية في الجزائر تُعدّ حاملة لمعاني رمزية وروحية واجتماعية عميقة، تمثل امتدادًا لإرث إفريقي عريق، وهي جديرة

بالدراسة لما تحمله من أنماط تعبيرية ثقافية (كالرقص، الموسيقى، الطقوس، المعتقدات...) تُظهر تفاعل الهوية الزنجية مع البيئة الجزائرية، وتكشف عن آليات مقاومة التهميش والتعبير عن الذات.

3. البعد الشخصي والإنساني: ينبع هذا الاهتمام أيضاً من رغبة الباحث في فهم الآخر القريب المختلف، والانفتاح على تجارب ثقافية وإنسانية غنية، تسهم في توسيع آفاق المعرفة، وتعزيز قيم التعدد والاحترام والتعايش.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والمعرفية والاجتماعية، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- رصد الحضور التاريخي والاجتماعي لزوج الجزائر، وتتبع أصولهم الجغرافية وتوزيعهم السكاني، لفهم السياقات التي ساهمت في تشكل هذا المكون الإثني داخل البنية السكانية الجزائرية.
- تحليل أبرز العادات والتقاليد التي تميز الثقافة الزنجية في الجزائر، سواء في مظاهرها الطقوسية أو الاجتماعية أو الرمزية، مع التركيز على الموسيقى، والرقص، والمعتقدات، واللغة، واللباس، والعلاقات الاجتماعية.
- الكشف عن الخصوصيات الثقافية للزوج في الجزائر، وكيفية تفاعلها مع باقي مكونات المجتمع الجزائري، وما إذا كانت تحمل عناصر اندماج أو تمايز ثقافي واضح.
- فهم آليات نقل التراث الزنجي داخل المجتمع، سواء عبر التوارث الشفوي أو الممارسات اليومية أو الطقوس الاحتفالية، ومدى استمرارية هذه الممارسات في ظل التحولات الاجتماعية الراهنة.
- الإسهام في إثراء المكتبة الأكاديمية الجزائرية بدراسة تاريخية أنثروبولوجية

حدود البحث

• **الحدود المكانية:** تتركز الدراسة على مناطق معينة من الجزائر تتميز بوجود مجتمعات زنوج بارزة، مثل الجنوب الغربي (بشار، بني ونيف، تيندوف)، إضافة إلى مناطق أخرى كغرداية، المنيعية، ورقلة، وعين صالح، مع بعض الإشارات لمناطق تتركز الزنوج في الشمال.

• **الحدود الزمنية:** يغطي البحث الفترة المعاصرة، مع العودة إلى بعض المحطات التاريخية الضرورية لفهم الامتداد الزمني للوجود الزنجي في الجزائر، خاصة فيما يتعلق بالتحويلات الثقافية والاجتماعية التي طرأت على العادات والتقاليد بين الماضي والحاضر.

المنهج المتبع:

نظراً لطبيعة الموضوع الذي يجمع بين الجوانب التاريخية والاجتماعية والثقافية، فقد تم اعتماد المنهج التاريخي الوصفي كمنهج رئيسي في هذه الدراسة، حيث يسمح هذا المنهج بوصف مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية لدى زنوج الجزائر، وتسلسل الأحداث التاريخية الزمانية والمكانية.

فالمنهج التاريخي أيضاً يتمثل ، في تتبع جذور الوجود الزنجي في الجزائر، ومراحل تشكله وانتقاله عبر العصور، وما رافق ذلك من تفاعلات اجتماعية وثقافية. وقد ساعد هذا المنهج على فهم الخلفيات التي شكلت هوية هذه الفئة ضمن النسيج الجزائري العام.

وبالإضافة إلى ذلك، تم دعم الدراسة من خلال الرجوع إلى بعض المعطيات الإثنوغرافية الواردة في كتب الرحالة والمصادر الأجنبية، والوثائق الميدانية مع محاولة ربط الملاحظات الوصفية بالسياق النظري العام الذي يتناول موضوع الهوية والاندماج الثقافي.

خطة البحث

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان "زواج الجزائر: دراسة في العادات والتقاليد" موزعة على مقدمة واربع فصول رئيسية، يُعالج كل فصل منها جانباً من الجوانب المتعلقة بالوجود الزنجي في الجزائر، بدءاً من الجذور والأصول، مروراً بالمعتقدات الدينية والروحية، والعادات والتقاليد الاجتماعية وصولاً إلى تأثيرهم في الثقافة الوطنية.

يتناول الفصل الأول الأصول التاريخية لزواج الجزائر، ويضم عناصر رئيسيين: يتناول الأول الأصول الجغرافية، والثاني مسألة اندماج الزواج في المجتمع الجزائري.

أما الفصل الثاني، فقد خُصص للمعتقدات الدينية والروحية واللغة واللهجات

أما الفصل الثالث ويتضمن العادات والتقاليد الاجتماعية من لباس وموسيقى ورقص والمساهمة في الفنون والموسيقى،

ويُختم البحث بـ الفصل الرابع الذي يعالج تأثير زواج الجزائر في الثقافة الوطنية، ودوره في المجتمع والسياسة، بمشاركته في الثورة التحريرية.

صعوبات البحث

واجه هذا البحث جملة من الصعوبات التي أثرت بشكل متفاوت على مراحل إنجازهِ، من أبرزها ندرة المصادر والمراجع العلمية المتخصصة التي تتناول موضوع زواج الجزائر بعمق، خاصة من الزاوية والأنثروبولوجية. كما شكل نقص الدراسات الميدانية والمراجع الإحصائية الدقيقة حول توزع الزواج ومظاهر تواجدهم الثقافي والاجتماعي عائقاً أمام التوثيق والتحليل. إلى جانب ذلك، فقد واجهنا صعوبة في جمع شهادات حية أو القيام بمقابلات مباشرة مع أفراد ينتمون إلى هذه الفئة بسبب الحساسيات المرتبطة بالهوية والانتماء، وما قد

يرافقها من تحفظ العادات والتقاليد من إشكالات التأويل والاختلاف بين المناطق، مما تطّلب الحذر في التعميم والتدقيق في النقل عن المصادر الشفوية.

المدخل التمهيدي: مفهوم الزوج و خصائصهم

تمهيد

شكل التنوع الثقافي والعرقى أحد أبرز ملامح المجتمع الجزائري، حيث تعايشت منذ قرون طويلة عدة جماعات بشرية ضمن نسيج اجتماعي مركّب ومتنوع. ومن بين هذه المكونات، تبرز الفئة الزنجية التي استقرت في جنوب الجزائر، خصوصاً في مناطق أدرار، بشار، تندوف، وورقلة تقرت واد سوف، والتي كانت لها مساهمة واضحة في إثراء الهوية الثقافية الوطنية من خلال تراثها الشعبي، وعاداتها الاجتماعية، ومعتقداتها الروحية الخاصة.

لكن، ورغم هذا الحضور التاريخي، فإن مفهوم "الزوج" ظل محاطاً بكثير من الغموض وسوء الفهم، نتيجة تداخل الدلالات اللغوية بالتصورات الاجتماعية، وتراكم الصور النمطية التي غالباً ما ألفت بظلالها على فهم حقيقي وعلمي لهذه الفئة. ومن جهة أخرى، فإن العادات والتقاليد التي تمثل الرصيد الرمزي والثقافي للزوج، لم تحظ بالدراسة الكافية، رغم ما تحتزنه من عناصر ثقافية مهمة تعكس تفاعلهم مع البيئة، وتطورهم الاجتماعي.

وعليه، جاء هذا المدخل التمهيدي ليؤسس لفهم دقيق لمفهوم "الزوجة" من جهة، وخصائصهم من جهة ثانية، وذلك من خلال مايلي.

أولاً : مفهوم الزوج و تعريفهم :

لقد قام العلماء بدراسة وتحديد من خلال التعريف اللغوي والإصطلاحي

1- الزوج لغة:

يرجع أصل لفظة "زوج" إلى الجذر الثلاثي (ز ن ج)، وهي كلمة وردت بصيغ متعددة في المعاجم العربية مثل: "الزنج"، "الزنج"، "الزنج"، و"الزنجبة"، وجميعها تدلّ على طائفة بشرية من ذوي البشرة السوداء، يعود أصلها إلى المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، خصوصاً في السودان وأواسط إفريقيا.

وقد ورد في لسان العرب لابن منظور أن الزنج هم :جيل من السودان، واحدهم زنجي وزُنجي، كما أشار إلى دلالة أخرى للجذر "زَنَجَ" بمعنى العطش الشديد،¹ مما يعكس تنوع المعاني الدلالية للكلمة.

في القاموس المحيط للفيروزآبادي، تُوصف "الزنج" أيضاً بأنهم جيل من السودان ... و عطاء مُزنج ، كمُعظم : قليل ، و زَنَجَ ، بالضم : بنيسابور".²

تؤكد المعاجم الحديثة مثل المعجم الوجيز والمصباح المنير أن "الزنج" هم طائفة من البشر تمتاز ببشرة داكنة، وشعر أجعد، وملامح وجهية خاصة، مثل الشفاه الغليظة والأنوف العريضة.³

وقد دخلت الكلمة إلى عدة لغات أخرى، فاستُخدمت في الفارسية والتركية بصيغ مثل "Zangi" و"Zenci"، مشتقة من ألفاظ تدل على السواد أو الصدا، وهو ما يعزز المعنى الدلالي المتعلق بالبشرة السوداء في أصول هذه الشعوب.

وبذلك، فإن المعنى اللغوي للزوج يدور في مجمله حول تعريف إثني قائم على المظهر الخارجي، وبشكل خاص على لون البشرة، مع بعض الصفات الجسدية المميزة الأخرى.

2- الزوج اصطلاحاً

أما من الناحية الاصطلاحية، فالزوج أو الزنوجة (La Négritude) ليست مجرد توصيف جسدي أو عرقي، بل هي حركة فكرية وثقافية نشأت كردّ فعل على الاستعمار والعنصرية الأوروبية تجاه السود، وتهدف إلى تأكيد الذات والاعتزاز بالهوية الإفريقية.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة "زنج"، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، د. ت.

² الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق، أبو الوفاء نصر الهوريني، مادة "زنج"، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 2007م، دص

³ المعجم الوجيز (الميسر) ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، ط 1 ، 1414 هـ - 1993 م ، ص 249.

وقد تبني هذا المصطلح مثقفون وشعراء من أصل إفريقي وفرانكوفوني، وعلى رأسهم ليوبولد سيدار سنغور، الذي عرّف الزنوجة بأنها: *إدراك للقيم الثقافية الإفريقية، والدفاع عنها، وتطويرها ضمن الحضارة الإنسانية*. وأكد أن الزنوجة لا ترتبط بلون الجلد فحسب، بل بالروح الجماعية والقيم الأخلاقية والثقافية لشعوب إفريقيا.

أما المؤرخ بازل ديفيدسن فقد رأى في الزنوجة سلاحاً للنضال والاحتجاج في وجه عالم مادي لا يعترف إلا بالقوة الاقتصادية والعسكرية¹.

ومن جهته، وصف الفيلسوف جان بول سارتر الزنوجة بأنها موقف روحي وإنساني تجاه العالم، يعكس تجربة جماعية في مقاومة القهر والتمييز².

وتبرز الزنوجة كذلك في الأدب والفن والموسيقى، من خلال استحضار الإيقاعات، والصور، والرموز الإفريقية، وهو ما أشار إليه الباحث رينيه ديبيستير، معتبراً أن الزنوجة تعبر عن توظيف خاص للعناصر الصوتية والحسية التي تميز الأدب الزنجي³.

إن الزنوجة في هذا السياق تمثل وعياً بالهوية، ورفضاً للتهميش، وسعيّاً للاعتراف بكرامة الإنسان الإفريقي، وحقوقه التاريخية والثقافية. وهي ليست تكتلاً عنصرياً، بل محاولة لإعادة الاعتبار لثقافة ظلّمها التاريخ، وتجاهلتها الحضارة الغربية لفترة طويلة.

ثانياً: خصائص الزوج

يُعدّ الزوج أكبر مجموعة سكانية في أفريقيا، ويسكنون منطقة واسعة تمتد من الغابات الاستوائية الكثيفة إلى السافانا الواسعة. وعلى الرغم من هذا الامتداد الشاسع، فإنهم يحتفظون

¹ محمد عبد الغني السعودي- قضايا إفريقية - عالم المعرفة - 34 أكتوبر 1980 م.

² الصادق محمد آدم، مقال: قضايا الأدب الإفريقي وتحدياته: قضية الزنوجة، نشر في سودانيز يوم، 8/8/2012، المرجع الرقمي: <https://www.sudaress.com/sudanile/>

³ سيزار فرناندث مورينو - أدب أمريكا اللاتينية - قضايا ومشكلات - ترجمة أحمد حسان عبد الواحد - مراجعة شاكر مصطفى - عالم المعرفة 116 - أغسطس 1987 م.

بمجموعة من الخصائص الفيزيولوجية والاجتماعية والثقافية التي تميزهم عن غيرهم من السلالات الأخرى في القارة.

أولاً: الخصائص الجسدية

يمتاز الزوج بعدة سمات جسدية بارزة¹:

- لون البشرة: أسود داكن، ويُعتقد أن هذا اللون يمنح حماية بيولوجية من الأشعة فوق البنفسجية في المناطق الحارة.
- الشعر: كثيف وصوفي، يختلف عن الشعر المفلفل للأقزام أو المستقيم عند القوقازيين.
- الشفاه: غليظة وبارزة.
- الأنف: عريض ومفطوح، ويُعتقد أنه تكيف بيئي يساعد في تنظيم حرارة الهواء الداخل.
- الجمجمة: ضيقة وطويلة، مع جبهة منخفضة.
- العضلات: قوية، خاصة في الرقبة والصدر والساقين، مما يتناسب مع ظروفهم البيئية الصعبة التي تتطلب جهداً بدنياً.
- الفك الأعلى: بارز بشكل ملحوظ، والذقن غالباً صغيرة وغير بارزة.

ثانياً: الخصائص البيئية والتاريخية

تشير الدراسات إلى أن الزوج القدماء سكنوا الغابات الاستوائية، ولذلك يُطلق عليهم أحياناً "زوج الغابات" تمييزاً لهم عن "زوج السافانا". ومع ذلك، فإن تداخل الهجرات

¹ يحيى الكدوانى، مقرر اعمال السنه، المادة / اعمال السنة - الفرقة الثالثة- جغرافيا عام وخرائط -، دس، دص

والاختلاط مع القوقازيين والقبائل المجاورة عبر القرون قد أدى إلى نشوء مجموعات فرعية مختلطة، مثل زواج السودان وزوج النيل.

كما أظهرت بعض الدراسات الأنتروبولوجية أن زوج النيل مثل الشلك والدينكا يتمتعون بطول قامة استثنائي، إذ يبلغ متوسط طول الرجل منهم أكثر من 180 سم، ويصل البعض منهم إلى قرابة مترين. ويعود هذا الطول أساساً إلى امتداد الساقين والأطراف.

ثالثاً: الخصائص الاجتماعية والثقافية

يعيش الزوج عادةً ضمن مجتمعات قبلية كبيرة، لها أنظمة حكم واضحة تتراوح بين الزعامة الدينية والسياسية، وتنتشر فيها نظم قانونية وأديان معقدة. وقد ساعدتهم هذه التنظيمات الاجتماعية على تأسيس ممالك قوية ومؤثرة مثل¹:

- مملكة غانا
- مملكة مالي
- مملكة سنغاي
- مملكة الباجندا في أوغندا
- مملكة الباكونغو واللوندا في أنغولا

رابعاً: الخصائص اللغوية

تنتمي غالبية الزوج إلى مجموعتين لغويتين أساسيتين:

- لغات البانتو: منتشرة في أفريقيا الجنوبية والشرقية.
- اللغات السودانية: تتوزع في السودان وأفريقيا الغربية والوسطى.

وتلعب هذه اللغات دوراً هاماً في تشكيل الهويات الثقافية، والتميزات الاجتماعية داخل المجتمعات الزوجية، كما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالانتشار التاريخي للإسلام والتجارة.

¹ يحيى الكدوانى، المرجع السابق.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لزواج الجزائر

تمهيد

يُعدّ الوجود الزنجي في الجزائر جزءًا لا يتجزأ من النسيج السكاني والتاريخي للمنطقة، حيث شكّل حضورهم عبر العصور ظاهرة ذات أبعاد متعددة، سواء من حيث الامتداد الجغرافي أو التأثيرات التاريخية والاجتماعية. وقد ساهمت الهجرات، سواء الطوعية أو القسرية، والعلاقات التجارية، خاصة مع إقليم السودان الغربي، في دخول الزنوج إلى الجزائر واستقرارهم في مناطق متعددة من البلاد، لا سيما في الجنوب والمراكز الحضرية الكبرى.

وإدراكًا لأهمية هذا الحضور، يتناول هذا الفصل محورين رئيسيين:

فيتناول العنصر الأول الأصول الجغرافية لزواج الجزائر ومناطق انتشارهم عبر العصور، بينما يسلط العنصر الثاني الضوء على التأثيرات التاريخية التي ساهمت في وصولهم وانتشارهم، من طرق تجارة القوافل إلى أدوار الحروب والعبودية، ويختتم الفصل بـ مظاهر اندماج الزنوج في المجتمع الجزائري، من خلال مشاركتهم في مختلف المهن، وأدوارهم الاجتماعية والثقافية داخل المدينة والقرى.

أولاً: الأصول الجغرافية

إنّ دراسة الأصول الجغرافية لزواج الجزائر تكتسي أهمية كبيرة في فهم طبيعة وجودهم وتوزّعهم في البلاد عبر مختلف الفترات التاريخية. فقد كان الموقع الجغرافي للجزائر، لا سيما مناطقها الجنوبية، عاملاً محورياً في استقبال موجات متعددة من الزوج القادمين من العمق الإفريقي، خاصة من إقليم السودان الغربي (غرب إفريقيا حالياً).

1) إفريقيا جنوب الصحراء كمصدر عام لزواج الجزائر

إن فهم دور إفريقيا جنوب الصحراء كمصدر لزواج الجزائر يتطلب أولاً الوقوف عند أصل تسمية القارة الإفريقية، ثم التطرق إلى الموقع الجغرافي الذي ساهم في حركة السكان وانتقالهم عبر العصور.

فقد تعددت الآراء حول أصل تسمية "إفريقيا"، حيث لم يكن هذا الاسم يطلق في البداية إلا على منطقة شمال القارة خاص المعروفة بتونس الان¹، ثم عمم لاحقاً على القارة بأكملها. وقد أرجع بعض المؤرخين العرب كياقوت الحموي التسمية إلى إفريقيش بن أبرهة أو إلى فارق بن بيبصر²، في حين ربطها آخرون بالفعل "فرق" بمعنى فصل. أما المؤرخون الغربيون كغوثيه وروسّي فقد رجحوا أن يكون الاسم مستمداً من اللغة الفينيقية أو اللاتينية القديمة وكان في البداية يشير إلى سكان قرطاجنة ومحيطها فقط³.

¹ أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة و تقديم : خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1991م، ص 124.

² ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1، ص 228.

³ الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م، ص 27.

أما لفظ "السودان"، فقد أطلقه المسلمون على المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، وهي المناطق التي يسكنها ذوو البشرة السوداء، فنُسبت إليهم هذه التسمية.¹ وقد استخدم المؤرخون المسلمون مثل ابن عبد الحكم والبكري وابن خلدون هذه التسمية للإشارة إلى بلاد واسعة غنية بالموارد، وكانوا يصفون الشعوب التي تقطنها كالزنج والحبشة والنوبة.² واستُخدمت عبارة "بلاد التكرور" كمصطلح مرادف "بلاد السودان"، خاصة عند المؤرخين المغاربة، بينما خصّت بها المصنفات المشرقية بعض الشعوب الواقعة بين النيجر والنيل.³

أما من الناحية الجغرافية، فإن إفريقيا جنوب الصحراء تقع في الجزء الأوسط من الكرة الأرضية، يمر بها خط الاستواء ومدارا السرطان والجدي، وتحدها من الشمال الصحراء الكبرى، ومن الجنوب الغابات الاستوائية، ومن الشرق البحر الأحمر، ومن الغرب المحيط الأطلسي.⁴ وهي منطقة واسعة تغلب عليها الطبيعة القاسية والمسالك الوعرة، مما جعلها تعيش في عزلة نسبية حتى بدايات العصر الحديث.

وقد قسم المؤرخون والجغرافيون هذه المنطقة، عملياً، إلى ثلاثة أقسام رئيسية⁵:

- السودان الغربي: ويشمل حوض نهر السنغال، نهر غامبيا، المجرى الأعلى لنهر فولتا، والحوض الأوسط لنهر النيجر.
- السودان الأوسط: ويشمل حوض بحيرة تشاد.
- السودان الشرقي: ويشمل الحوض الأعلى لنهر النيل.

¹ محمود شاكر، السودان، المملكة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م، ص 9.

² عبد الرحمان بن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج5، ص 264.

³ بشار أكرم جميل الملاح، تاريخ الإسلام في إفريقيا، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، 2014م، ص 14.

⁴ يوسف روكز، إفريقيا السوداء سياسة وحضارة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م، ص 13.

⁵ طارق بن زاوي، محاضرات في مقياس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء السنة الثالثة ليسانس تاريخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، 2018-2019، ص 06.

وكانت هذه المناطق مصدرًا غنيًا للذهب والعبيد، حيث ساهمت حركة التجارة العابرة للصحراء، إلى جانب الغزوات والهجرات، في انتقال أعداد من سكان هذه المنطقة إلى شمال إفريقيا، ومن ضمنها الجزائر. ومع انتشار الإسلام وتوسع الممالك الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء، ازداد التواصل بين شمال القارة وجنوبها، مما أدى إلى تدفق مستمر للسود إلى الجزائر سواء عبر طرق التجارة أو كأسرى حرب أو عبر الهجرة الطوعية.

وقد عرف العرب المنطقة باسم "بلاد السودان"، وهو الاسم الذي أطلقوه على الشعوب الزنجية جنوب الصحراء، واستُخدم هذا المصطلح لفترة طويلة قبل أن يظهر لاحقًا مصطلح "إفريقيا جنوب الصحراء"، الذي شاع استخدامه خصوصًا في الكتابات الغربية الحديثة. ومع مرور الزمن، اقتضت تسمية "السودان" على الدولة المعروفة اليوم بجمهورية السودان، والتي شهدت انفصالًا في جنوبها أدى إلى ظهور جمهورية جنوب السودان ذات الغالبية المسيحية¹. (انظر الملحق رقم 01)

2) بلاد السودان الغربي كموطن رئيسي لزنوج الجزائر

تُعد بلاد السودان الغربي من أهم المواطن التاريخية التي انطلقت منها الهجرات الزنجية نحو شمال إفريقيا، خاصة الجزائر. وقد أطلق العرب هذا الاسم على المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، حيث سكنتها شعوب ذات بشرة سوداء، وكان ذلك التحديد الجغرافي شائعًا في العصور الوسطى، قبل أن يصبح اسم "السودان" يطلق اليوم على الدولة المعروفة بهذا الاسم.

1- التعريف ببلاد السودان الغربي

¹المرجع نفسه.

وقد أشار المؤرخون القدماء، من يونانيين ورومان، إلى هذه المنطقة بمصطلح "تجريتاً"، نسبة إلى نهر النيجر، وهو الاسم الذي أطلقه المؤرخ الروماني بلييني في القرن الثاني الميلادي تقريباً، ويعني "الأجناس السوداء".¹

أما في المصادر العربية، فقد ظهر مصطلح "بلاد السودان" بمعناه الواسع ليشمل منطقة شاسعة تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى مشارف النوبة على نهر النيل شرقاً، ومن الصحراء الكبرى شمالاً إلى خط الاستواء جنوباً، وهي منطقة كانت تشمل أجزاء واسعة من السنغال، مالي، النيجر، بوركينا فاسو، نيجيريا، غينيا، موريتانيا وغيرها.²

وقد كانت مدينة سجلماسة³ - الواقعة جنوب المغرب الأقصى - تُعد من أهم مداخل بلاد السودان،⁴ ومن خلالها كانت تمر القوافل التجارية التي تنقل البضائع والبشر، ومن ضمنهم الزنوج، نحو شمال إفريقيا، بما في ذلك الجزائر.

ووفقاً للقلقشندي، فإن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط، ومن الجنوب الخراب (أي الأرض غير المعمورة)، ومن الشرق بحر القلزم (البحر الأحمر)، ومن الشمال براري تمتد بين مصر وبرقة وبلاد المغرب.⁵

¹ إبراهيم علي طرحان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، (د. ط)، القاهرة، 1969، ص 54.

² ولتر رودني: أوروبا والتخلف في إفريقيا، تر: أحمد قيصر، سلسلة عالم المعرفة، (د. ط)، الكويت، 1998، ص 73.
³ هي مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين مدينة فاس عشرة أيام، وهي في وسط الرمال، وأكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر وعلتهم قليلة ولسانهم يد صناع في غزل الصوف وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، (د. ط)، بيروت، (د. ت)، مج 3، ص 192.

⁴ البكري ابن عبد الله بن عبد العزيز: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، (د. ط)، القاهرة، (د. ت)، ص 148

⁵ أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح، نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1987، ج5، ص 275.

كما أشار الجغرافيون المسلمون، مثل ابن حوقل والإدريسي والقزويني، إلى الطبيعة الجغرافية لهذه المنطقة، حيث وصفوها بأنها تضم مساحات واسعة من الصحارى والغابات والسافانا، مما جعلها منطقة عبور وممرًا لهجرات متعددة من الجنوب نحو الشمال، إضافة إلى كونها مجالًا لإمبراطوريات زنجية كبيرة، كإمبراطورية غانا، ومالي، وسنغاي، التي كانت مراكز حضارية وتجارية نشطة. حيث قال ابن حوقل: **أما جنوبي الأرض من بلاد السودان، فإن بلادهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف... غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المتوسط وحده ثم ينتهي إلى برقة بينه وبين أرض المغرب، وحد له إلى برقة بينه وبين مصر على ظهر الواحات.**¹ وقال الإدريسي: **"أكثر هذه الأرض صحار متصلة غير عامرة وجهات وحشة وجبال عُرش جرد لا نبات فيها، والماء بها قليل جدا، وأهل تلك الأرض يدلون في أكنافها وطرقاتها ويتجولون في ساحاتها ووديانها وجبالها"**².

أما ابن خلدون، فقد ميّز بين عدة أجناس زنجية تقطن هذه المنطقة، مثل الزنج، والنوبة، والزغاوة، وغيرها، موضحًا امتدادهم حتى مناطق البربر شمالًا،³ ما يؤكد التفاعل البشري بين شعوب السودان وشعوب شمال إفريقيا.

وبالنظر إلى هذا الامتداد الواسع والخصب لبلاد السودان الغربي، فإنها شكّلت عبر التاريخ موطنًا رئيسيًا للزواج الذين انتقلوا إلى الجزائر سواء عبر طرق التجارة العابرة للصحراء، أو في إطار الهجرات القسرية كالعبودية، أو حتى في سياق الانخراط في الجيوش أو الطلب العلمي، خاصة في فترات ازدهار العلاقات بين الشمال والجنوب.

2- قبائل السودان الغربي

¹ ابن القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، (د. ط)، لبنان، 1992، ص 24.
² أبو عبد الله الشريف، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، تح، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د. ط)، الجزائر، 1983، ص 33.
³ عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992، ج6، ص 234.

1- قبائل الماندينجو (الماندي): ينتشرون في منطقة واسعة تمتد من المحيط الأطلسي حتى النيجر.

خاصة في مالي وكذلك في غينيا والسنغال وغامبيا وتتميز صفاتهم الجنسية بطول القامة التي أخذها من الحاميون مع البشرة فاتحة اللون يدين معظمهم بالإسلام ويشغلون بالزراعة على أسس صحيحة ويمارسون بعض الصناعات اليدوية بمهارة فائقة ، وهم مؤسسو دولة غانا وكنمي القديمتين¹.

2- قبائل الفولان: يتميز الشعب الفولاني بوجه عام بقلة السواد عن الزنوج غرب إفريقيا ولكن في بعض الأحيان يكون أفراد هذا الشعب أكثر سوادا كما إن أحجامهم تميزهم عن بقية سكان غرب إفريقيا، فهم يتميزون بطول القامة، وطول الجبهة العريضة وثأنيهم اعتبار الشعب الفلاني الوحيد الذي يعمل بالرعي كحرفة أساسية في حياته وقد ظل هذا الشعب منعزلا من الناحية السياسية والاجتماعية عن بقية شعوب غرب إفريقيا.²

ولقد قيل أن نسبهم يرجع إلى الأصول الآتية:

- **قدماء مصر:** سكان الشمال الشرقي لإفريقيا بني إسرائيل، أولاد يعقوب ابن نبي الله إسحاق عليه السلام العرب وصولا إلى أهل البيت الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق فاطمة الزهراء، نجلته الكريمة.

- **الحبشة:** سكان منطقة القرن الإفريقي في شرق إفريقيا

- **المنبوذ:** من الذين نزحوا عن شبه قارتهم الهندية إلى قارة إفريقية عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر بحثا عن العشب والأراضي الخصبة للزراعة وتربية الحيوان.

¹نجي، جي. دي. تاريخ غرب إفريقيا، تر: دكتور سيد يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، (د.س)، ص 79.

²عثمان بريماباري: جذور الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، ط1، دار الأمين للطباعة، القاهرة، 2000، ص 316.

- البربر: من القبائل شمال إفريقيا والصحراء.¹

3-قبائل البمبارة: يلاحظ بأن البمبار يتمسكون بالوثنية وكونوا ممالك وثنية في المنطقة الواقعة عند مجرى الأعلى لنهر السنغال، وعند غزو النيجر وكثيرا منهم يعيشون في مستعمرات في ماسينا وقد عرفوا بعدائهم الشديد للمسلمين².

4- قبائل التكرور: يسكنون أعالي السنغال وأواسط النيجر وكانوا أسبق الشعوب للإسلام وحرفتهم الرئيسية الزرعة ، وهم على جانب كبير من الذكاء والشجاعة ويمتاز التكرور عن غيرهم بأنهم نشروا الإسلام وهم خليط من الزنوج موطنهم الرئيسي في السنغال وقد استقر البعض منهم في السنغال الأعلى ونيورو على النيجر.³

5-قبائل الطوارق:ينحدر الطوارق من قبيلة مسوفة التي هي إحدى أقسام صنهاجة وقد رحلوا من اليمن عن طريق المغرب وتفرقوا في الصحراء ما بين السودان و جبال الأطلس وكانت مضارب هذه القبائل في شمال إفريقيا في صحارى المغرب وسهوله ولكنها أخذت منذ القرن الميلادي تهجر موطنها متجهة نحو الغرب، ثم ما لبثت أن انحدرت نحو الجنوب⁴.

6-قبائل سونهاي صنغاي:شغلت الأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو وتمتد على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال من داهومي عند مدينة داندي إلى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا ونشأت هذه الدولة أو ما يسمى إمبراطورية سونهراي في قرون الأولى الميلادية⁵.

¹ محمد علي الدهني الهامي، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850هـ/1914م)، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1988، ص29.

²المرجع نفسه ، ص 30.

³ محمد الغربي، بداية الحكم العربي في السودان الغربي، ج 1، الكويت، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، (د.س)، ص 593.

⁴ عطية مخزوم الفيتوري ، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب صحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، ط 1، منشورات جامعة قازيونس ،دس، ص 24.

⁵المرجع نفسه،ص26

7-قبائل الهوسا:تحتل الهوسا معظم دولة نيجيريا ويقدر عددهم بحوالي خمسة عشر مليوناً وقد كانوا يعيشون في السابق في الأقاليم الوسطى لجنوب الصحراء الشرقي لنهر النيجر وقد أخرجتهم من مواطنهم قبائل الطوارق فأخذوا يهاجرون نحو الجنوب.

8-العرب: ينتشر العرب في كل شمال مالي والنيجر وتشاد ويشغلون النفوذ الأكثر في شبه موريتانيا وقد جاءوا إلى بلاد السودان الغربي عن طريق الهجرات والتجارة و من أهم هذه القبائل هي عرب المعقل من القبائل الحسانية مثل الرقيات ، أولاد دليم، الجكاكنة، البرايش، مشطوف أهل أروان ، أولاد غلا، أولاد يعقوب بالإضافة إلى قبائل كنته¹.

- كما كانت الجزائر محطة للقوافل التجارية و منطقة عبور بين الشمال و الجنوب و الشرق و الغرب محملة بقوافل الرقيق فلعبوا دوراً محورياً عبر ثلاثة عصور و هو العصر الوسيط و العهد العثماني و فترة الاستعمار الفرنسي . ومن أبرزها في العصر الوسيط من خلال المسارات التجارية عبر تمنراست و الهقار وورقلة بعضها يتجه نحو تلمسان .بجاية .الجزائر العاصمة بالإضافة إلى سلع أخرى - الذهب . الملح .العاج و كانوا في خدمة الزراعة والمنازل .

أما في العهد العثماني كانت الجزائر جزءاً من الدولة العثمانية منذ 1518 فكانت الزنوج تمر عبر توات وتيدكلت ثم للجزائر العاصمة فالمرابطين يلعبون دور الوسيط في جلب الرقيق وكانو يبيعونهم في العاصمة .تلمسان .بجاية سوق النخامة في القصبة الجزائرية وبعد تحريرهم هناك من يتقلد مناصب مرموقة داخل بلاط الديات والبايات أناداك.

فبعد دخول الإستعمار الفرنسي إلى الجزائر عام 1830-1962 - لم تكن قوافل منظمة لجلب الرقيق إلى الجزائر بحيث بدأت العبودية في الإنحسار وتلاشي تجارة الرقيق تدريجاً

¹أحمد ناجم الدين فليحة ، إفريقيا دراسة عامة إقليمية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (د.س)، ص 195

بفعل الضغط الأروبي وحملات الإلغاء وعليه خلال القرن 19 فكانت رقابة مشددة من طرف السلطات الفرنسية.

3) مناطق الاستقرار الرئيسية لزواج الجزائر

عرفت الجزائر، بحكم موقعها الجغرافي الرابط بين إفريقيا جنوب الصحراء وشمال القارة، استقراراً تدريجياً للعنصر الزنجي، خاصة على امتداد الطرق التجارية القديمة، وفي مناطق الواحات، والمدن الساحلية، والمراكز الحدودية. وقد تركزت أبرز مناطق الاستقرار في المحاور التالية:

أولاً: منطقة الجنوب الغربي (توات - أدرار - تيميمون - أولف)

تُعد منطقة توات التاريخية، التي تضم مدناً مثل أدرار وتيميمون وأولف، من أقدم وأهم مناطق استقرار الزواج في الجزائر.¹ لقد شكلت هذه المنطقة معبراً رئيسياً للقوافل القادمة من مالي والنيجر، وشهدت تواجداً إفريقياً كبيراً خاصة في شكل خدم للزوايا، وتجار، وعمال زراعيين.

ثانياً: منطقة الجنوب الشرقي (جانت - إليزي - تقرت - ورقلة - واد سوف)

في منطقة الجنوب الشرقي، برزت مدن مثل جانت وإليزي وتقرت كمراكز استقرار للزواج القادمين من النيجر والتشاد عبر طرق التجارة. وقد شاركوا في أنشطة الزراعة والواحات، واستقروا في أحياء خاصة ضمن الواحات الكبرى. لا تزال بعض الأسر في هذه المناطق تحافظ على تقاليدها الإفريقية من حيث اللباس، والموسيقى، والطقوس، كما تبرز في الأعراس والمناسبات الاجتماعية.

ثالثاً: منطقة وسط الصحراء (تمنراست - المنيعه - عين صالح)

¹خير الدين شترة، المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، قسم التاريخ - جامعة أدرار، ص 09

تُعتبر تـمـنـرـاسـت العاصـمـة التـارـيـخـيـة للـطـوارق، من أبرز مناطق تـمـركـز الـزـنـوج، خاصـة من قبائل الهوسا والسونغاوي والفلواني. وقد استقروا في أحياء معروفة، وامتحنوا الزراعة والرعي والحرف، إضافة إلى وظائف دينية. وإلى جانب تـمـنـرـاسـت، تـشـكـل المنـيـعة وعين صالح محطات استقرار مهمة، حيث استقر الزوج ضمن الواحات،¹ وبرزوا في الأنشطة الزراعية وخدمة الزوايا. هذه المناطق حافظت على تقاليد إفريقية عريقة، لا تزال حاضرة في مظاهر الفن الشعبي والرقصات الجماعية.

رابعاً: منطقة الساورة والشمال الصحراوي (بشار)

أما في بشار الواقعة في الشمال الغربي من الصحراء الجزائرية، فقد شهدت استقراراً ملحوظاً للزواج خصوصاً خلال العهد الاستعماري، حيث عملوا في المناجم والزراعة، واستقروا في أحياء متميزة مثل "الزرقان" و"البيضان".

¹مرجاني عبد القادر، الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات الأوروبية خلال القرن 19م بول صولييه أنموذجاً، مجلة الدراسات التاريخية، المركز الجامعي آفلو (الأغواط)، العدد : 22، دس، 157-159

ثانيا : الاندماج في المجتمع الجزائري.

شهد زواج الجزائر، على مرّ القرون، مساراً تدريجياً من الاندماج في النسيج الاجتماعي الوطني، انطلاقاً من أدوارهم الاقتصادية والدينية، وصولاً إلى مشاركتهم في الحياة السياسية والثقافية. هذا الاندماج لم يكن دائماً سهلاً، بل مرّ بمراحل تفاوتت فيها درجات التفاعل والقبول حسب الظروف التاريخية والاجتماعية. ويمكن تناول مظاهر هذا الاندماج ضمن المطالب التالية:

(1) الاندماج المهني والاقتصادي

انخرط الزوج في المجتمع الجزائري من خلال مزاولتهم لمجموعة واسعة من المهن، خاصة تلك التي تتطلب قوة بدنية أو مهارات خاصة، وقد لعبوا دوراً مهماً في الاقتصاد الحضري التقليدي.

• الوظائف اليدوية والمجهدّة: اشتغل الزوج في مجالات تتطلب مجهوداً بدنياً كبيراً مثل الحمالّة والبناء والعمل في البساتين وعلى متن السفن، وهي مهن استُغلت فيها بنيتهم الجسدية القوية.¹ كما تخصص البعض منهم في طلاء ودهن الجدران، وهي مهنة كانوا معروفين بها.²

• العمل داخل الحمامات: شكلت الحمامات مجالاً آخر لعمل الزوج، حيث أشار Laugier De Tassy إلى كيفية استخدامهم في تدليك الزبائن، وتنظيف المرافق. وقد

¹P.H. Vallière: *L'Algérie en 1781*, publication de Lucien Chaillou, imprimerie nouvelle, Toulon, 1974,

²بفايفر سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة: أبو العيد دودو، دط، دار هومة، الجزائر، 2009، ص180

تحدثت وثائق عن تولي بعض النساء الزوجيات مهام "معلمة حمام"، براتب معتبر، كوثيقة عام 1217 هـ / 1802 م التي تثبت تعيين إحدى النساء مقابل أجر بلغ 1761 ريالاً.¹

• خدمة المنازل والأعمال الداخلية: وُجد الزوج، رجالاً ونساءً، بكثرة في منازل الأغنياء والعائلات التركية، حيث كانوا يتولون مهام التنظيف، والطبخ، ورعاية الأطفال، إلا أن النساء الزوجيات لم يكن يعملن في منازل اليهود حسب ما ذكره هايدو.²

• العمل في المقاهي: أشار الرحالة فاغندر إلى أن تحضير المشروبات والأطعمة في مقاهي الجزائر كان غالباً من اختصاص الزوج،³ ما يعكس حضورهم القوي في الحياة الاقتصادية اليومية للمدينة.

(2) الاندماج الاجتماعي

لم يقتصر اندماج الزوج على الجانب المهني والفني فقط، بل شمل كذلك التفاعل الاجتماعي العميق، خاصة من خلال دور النساء الزوجيات في الحياة المدنية.

• خدمة النساء الزوجيات: مارست الزوجيات وظائف اجتماعية مهمة داخل منازل الحضر، لا سيما في الأعراس، واحتفالات السبوع (اليوم السابع من ولادة الطفل)،⁴ حيث كنّ

¹ سعاد يمينة شبوط، البرانية في مدينة الجزائر ما بين 1700-1850 "جماعة البسكرة نموذجاً"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ل. م. د. تخصص: تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -، 2022/2023، ص 97

² Diego De Haedo : **topographie et histoire générale d'Alger**, traduit en français par : Monnereau et Berbrugger, 1870,p131

³ أبو العيد دودو: **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855**، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 65.

⁴ Diego De Haedo: **topographie et histoire générale d'Alger**, op. cit., p 123.

يغنين ويعزفن ويقمن بتنظيم الشموع في موكب العروس، كما أكد ذلك الأمريكي James Wilson Stevens.¹

• **المهام داخل الحمامات:** تولت الرخويات الإشراف على تسيير شؤون الحمامات، وتوفير خدمات الغسل والتنظيف للنساء، وقد وردت تسميات لهن مثل "الطيبات"،² كما أشارت وثائق رسمية إلى أسمائهن وصفاتهن ك"أمة معلمة حمام".

• **المكانة الاجتماعية لهن:** وجود الزنجيات في قلب الاحتفالات والأماكن العمومية (كحفلات الولادة، والحمامات، والأعراس)، يعكس درجة من القبول والاندماج الاجتماعي، خاصة ضمن الطبقة المتوسطة والعليا في المدن الجزائرية العثمانية.

(3) الاندماج الثقافي و الفني والاحتفالي

برز الزواج في المجتمع الجزائري من خلال فنونهم الشعبية ومشاركتهم النشطة في الاحتفالات العامة والخاصة، مما ساهم في ترسيخ مكانتهم ضمن الحياة الثقافية للمدينة.

• **الرقص والموسيقى الشعبية:** لفتت رقصات الزواج الجماعية خلال الأعياد انتباه عدد من الرحالة الأوروبيين، مثل Wild و Lissour، حيث كانوا يجتمعون في فرق صغيرة، ويطوفون في أزقة المدينة حاملين آلاتهم الموسيقية، مبددين انسجامًا لافتًا في حركاتهم.³ كما أشار Wagner إلى ممارستهم لهذا الفن داخل قصر الداوي نفسه.

¹ جيمس ويلسون ستيفنز: الأسرى الأمريكيان في الجزائر 1785-1797، ترجمة: علي تابلت، دط، منشورات ثالثة، 2007، ص 238.

² ليلي خيراني، واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر 1800-1817، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2006-2007، ص 110.

³ وبلد، ليسور: رحلة طريفة في إيالة الجزائر، ترجمة: محمد جيجلي، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2002، ص 88.

• التقييم الأوروبي لهذا الفن :انقسمت آراء الرحالة حول طابع هذا الفن، حيث أبدى بعضهم إعجاباً بحيويته وتفردّه، فيما وصفه آخرون بالموسيقى الصاخبة، معتبرينها أدنى من المستوى الفني الراقى، ما يعكس نظرة استشراقية مقللة من شأن الفنون الإفريقية¹.

خلاصة الفصل

تناول هذا الفصل الجوانب التأسيسية لفهم وجود الزواج في الجزائر من خلال تتبع أصولهم الجغرافية والتاريخية، وكذا مظاهر اندماجهم في المجتمع الجزائري. أظهرت المعطيات أن الزواج الوافدين إلى الجزائر قدموا أساساً من منطقة السودان الغربي عبر الطرق التجارية الصحراوية التي لعبت دوراً حيوياً في حركة البشر والثقافة والسلع، كما بيّنت الدراسة أن تمركزهم الجغرافي لم يكن عشوائياً، بل ارتبط بمناطق استراتيجية كواحات الجنوب، ومراكز التبادل التجاري والمدن الساحلية.

من جهة أخرى، ساهمت العوامل التاريخية، مثل التجارة العابرة للصحراء، وموجات الرق، ، في تعزيز حضور الزواج داخل النسيج الاجتماعي الجزائري. وقد تجلّى اندماجهم في عدة مظاهر، سواء من خلال مشاركتهم في المهن اليومية داخل الحواضر، أو من خلال أدوارهم الاجتماعية والثقافية والدينية، مثل العمل في الحمامات والمنازل، والمشاركة في المناسبات الاحتفالية برقصاتهم وموسيقاهم المميزة.

بذلك، يظهر أن وجود الزواج في الجزائر لم يكن طارئاً أو معزولاً، بل كان نتيجة تفاعل تاريخي طويل المدى، أثمر عن انصهار تدريجي داخل المجتمع الجزائري، مع احتفاظهم في بعض الحالات بخصوصية ثقافية واجتماعية ميزتهم ضمن النسيج العام.

¹Renoult: *Alger et sa colonisation avec des considérations sur l'importance de ce pays*, imprimerie de Dupont et Laguionie, Paris, 1832, p 28.

**الفصل الثاني: العادات والتقاليد
في المعتقد واللغة عند
زواج الجزائر**

تمهيد

لا يكتمل فهم تاريخ أي جماعة بشرية دون التطرق إلى ما تحمله من معتقدات دينية وروحية ولغوية تعبر عن هويتها الثقافية والاجتماعية. وإذا كانت الأصول التاريخية والجغرافية لزوج الجزائر قد شكّلت خلفية حضورهم في الفضاء الجزائري، فإن المعتقدات الدينية والروحية واللغة التي حافظوا عليها أو طوّروها تُعد من أهم ملامح تميزهم داخل المجتمع.

يحاول هذا الفصل أن يسلط الضوء على المعتقدات الدينية والروحية واللغة واللهجات لهذه الفئة، من خلال التطرق إلى معتقداتهم قبل وبعد الإسلام التي كانت ولا تزال تعبيراً عن الهوية، والانتماء الجماعي، إلى جانب لغاتهم ولهجاتهم التي تعكس التفاعل بين لغاتهم الأصلية والعربية المحلية. كما يتناول الفصل مظاهر المعتقدات الدينية والروحية لديهم، بما في ذلك حضور بعض الطقوس ذات الأبعاد الإفريقية،

بهذا، يهدف هذا الفصل إلى التمسك العقائدي والروحي واللغوي الذي حمله زوج الجزائر، ودوره في إثراء التراث الشعبي الجزائري العام.

أولاً: المعتقدات الدينية والروحية

شكّلت المعتقدات الدينية والروحية جزءاً مهماً من حياة زوج الجزائر، إذ حملوا معهم موروثاً غنياً من التقاليد والممارسات الإيمانية القادمة من أقاليم إفريقيا جنوب الصحراء، والتي تأثرت لاحقاً بالإسلام بعد استقرارهم في الجزائر. وقد ظهر هذا التداخل في طقوسهم الدينية، وفي بعض الممارسات الشعبية التي تجمع بين الإيمان والتصوّف، كاللجوء إلى الأولياء الصالحين والاحتفال بالمناسبات الدينية بطقوس خاصة تعبّر عن عمق البعد الروحي في ثقافتهم.

1- المعتقدات الدينية لزواج الجزائر قبل الإسلام

تشير الدراسات الأثرية إلى أن منطقة الجزائر شهدت وجود حياة بشرية منذ عصور موغلة في القدم، وذلك قبل بداية التدوين التاريخي.¹ ومن خلال المنحوتات والآثار المكتشفة، تبين أن الزوج القدماء الذين سكنوا الجزائر كانت لهم معتقدات دينية خاصة، تمحورت حول عبادة قوى الطبيعة والظواهر الكونية.

فقد كان الزوج يعظمون الشمس والقمر، ويمارسون طقوساً لعبادة بعض الحيوانات كالفرس، والثور، والكبش، والنييس، وهي ممارسات تجلت بوضوح في تماثيل حجرية، مثل التمثال المعروف بأتون، المنحوت على هيئة تيس تعلق رأسه دائرة الشمس، والذي عُثر عليه في جبال بني راشد.

ولا تزال بعض هذه المعتقدات حاضرة في الموروث الشعبي الجزائري، مثل عادة الأطفال عند خلع أسنانهم وهم يقولون: "يا شمس عطيني سنة الحمار وأعطيني سنة الغزال"²

¹شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البداء إلى الفتح الإسلامي 647م،

ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة، مؤسسة تالنت الثقافية، دط، 2011، 46

²الميلي، مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986، ص75

أما عن تصورهم للكون، فقد جسد الزنوج القدامى مختلف الظواهر الطبيعية في إله واحد أطلقوا عليه اسم "عمون"، ورأوا أن المظاهر الطبيعية المختلفة ما هي إلا تجليات لروحه. وقد قسموا القوى التي يعبدونها إلى ثلاث مجموعات¹:

• الكواكب: وعلى رأسها الشمس والقمر، التي كانت تحظى بمكانة مركزية في معتقداتهم.

• الحيوانات: إذ احتل الثور المكانة الأولى بين الحيوانات المقدسة، تليه الأفعى والكبش، كما عبدوا الحمام، والطاووس، والسلاحف، والضفادع، والقروذ، والجرذان.

• الروحانيات: حيث اعتقدوا بوجود أرواح خفية تسكن الأشجار، والعيون، والأحجار، وعبدوا هذه الظواهر طلباً للبركة ودفعاً للضرر.

المعتقدات الزنجية في السحر والجن

تُشكل المعتقدات المرتبطة بالسحر والجن أحد الأركان الأساسية في المنظومة الدينية والروحية لدى الطوارق، الذين يُعدّون من أبرز مكونات الزنوج في الجنوب الجزائري. ويُلاحظ أن هذه المعتقدات، رغم تأثير الإسلام، ما تزال حاضرة بقوة في الوعي الجمعي، وهو ما يعكس تداخلاً بين الموروث الوثني القديم والتصورات الإسلامية الحديثة.

أولاً: الإيمان بالسحر

يؤمن الطوارق بالسحر إيماناً راسخاً، ويُصنّفونه إلى نوعين:

- **السحر النافع:** يُستخدم في تحقيق الخير للفرد أو الجماعة، مثل التوسل لجلب المطر أو تسهيل الولادة أو زيادة خصوبة الأرض.

¹مرحوم عبد الرحيم، بن تامي رضا، التاريخ الديني للجزائر - دراسة أنثروبولوجية - ، مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد

18 العدد 01 (العدد المرواني) 15/01/2022، ص600

- السحر الضار: يُقصد به إلحاق الأذى، كالتسبب في العقم،¹ أو في النزاعات العائلية، أو حتى في موت المواشي.

ولشدة خوفهم من السحر الضار، يحرص الطوارق على عدم ترك أي أثر خلفهم (مثل الأظافر، الشعر، أو الملابس القديمة) حتى لا تُستعمل في الطقوس السحرية.² ويعود هذا الاعتقاد، حسب الموروث الشعبي، إلى بقايا عادات وثنية عميقة الجذور لم يتمكن الإسلام من محوها بالكامل،³ بل تم إدماجها جزئياً ضمن تأويلات جديدة.

2- الجن كمصدر للمرض والتفسير الغيبي

في الثقافة الطارقية، يُعتقد أن الجن يشكل عالماً موازياً لعالم البشر، وله "سلطنات" و"مشيخات" خاصة به، تتوزع على أماكن معينة تُحاط بهالة من الرهبة والأساطير، مثل كما تميزت الحياة الدينية لزنوج الجزائر بتقديس الأموات، حيث قاموا ببناء أضرحة ضخمة على قبورهم، تعبيراً عن الاحترام الكبير للأرواح. كذلك عظموا الأشجار والجبال والعيون وتبركوا بها، اعتقاداً منهم بأنها مساكن لأرواح خفية قادرة على التأثير في حياتهم. التلال والكهوف والمناطق الخالية. ويُنظر إلى الجن كمصدر رئيسي للأمراض، سواء ما يُصيب الإنسان أو الحيوان،⁴ وهو ما يُبرر - في التصور الشعبي - بعض الأعراض الجسدية أو النفسية الغريبة.

وترتبط كل تضاريس طبيعية (تل) تقريباً بخرافة أو كيان جنّي،¹ وتُنسج حولها قصص متوارثة تعزز الشعور بالخوف والاحترام لهذه الأماكن، باعتبارها "مساكن للجن".

¹ عبد العليم عبد الرحمن خضر، التراث الثقافي للأجناس البشرية في أفريقيا الأصالة والتجدد، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1985، ص 194

² ألبرت شفيتر، حكايات أفريقية، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص 64.

³ عبد الرحمن عمر الماعى، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي 1900-1960، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1984، ص 87-88

⁴ محمد سعيد القشاط، الطوارق عرب الصحراء الكبرى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط4، 2008، ص 147-148.

3- الحماية من الحسد والجن

لمواجهة خطر الحسد والجن، يتم اللجوء إلى مجموعة من الممارسات الوقائية ذات الطابع الروحي والشعبي:

- أثناء ختان الأطفال، يُلبس الطفل الذكر طاقية يعلق عليها قرن غزال، وهو رمز يُعتقد أنه يطرد العين الشريرة.

- التمام: تُعد من الوسائل المنتشرة للحماية، حيث تُعلق أو تُحمل في الملابس لحماية الفرد من الشرور غير المرئية².

هذه الممارسات تُجسد تمثلات روحية غنية تدمج بين الدين الشعبي والأساطير الإفريقية، وتُبرز كيف استطاع الزوج في الجزائر، لا سيما الطوارق، أن يطوروا منظومة متكاملة من الطقوس الوقائية والتفسيرية للأحداث اليومية من خلال مفاهيم السحر والجن.

¹الميجور دنهام وآخرون، رحلة لاستكشاف أفريقيا، ترجمة عبد الله عبد الرازق إبراهيم، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002، ص 66.

²تجمي رجب ضيف، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1999، ص 263.

2- المعتقدات الدينية لزوج الجزائر بعد الإسلام

يعود دخول الإسلام إلى بلاد السودان الغربي - ومنها مناطق الزوج التي تقع ضمن الرقعة الجغرافية للجزائر الكبرى قديماً إلى أوائل القرن السابع الميلادي.¹ فقد تسربت تعاليم الدين الإسلامي تدريجياً إلى المنطقة عبر قنوات مختلفة، أبرزها التجارة والهجرة الدينية والدعوة السلمية، فكان لذلك أثر بالغ في تحويل معتقدات السكان المحليين - الزوج - من الوثنية التقليدية إلى الإسلام.

تُعد إمبراطورية أودغشت الإسلامية (660هـ/679م)، التي أسسها الماندينجو (وخاصة السوننك²)، من أوائل الكيانات السياسية التي حملت لواء نشر الإسلام في المنطقة، حيث لعبت دوراً بارزاً منذ القرن التاسع الميلادي (أواخر القرن الثاني الهجري) في إرساء معالم الدين الجديد في أوساط الزوج.

كذلك، أسهمت شخصية ملك التكرور "وارجابي بن رابيس" (توفي 432هـ/1040م) إسهاماً واضحاً في دفع عجلة انتشار الإسلام بين الزوج، إذ كان لإسلامه أثر في دخول العديد من شعوب سلا وغيرها إلى الإسلام.

وإلى جانب دور الحكام والزعامات المحلية، برز التجار المسلمون القادمين من شمال إفريقيا، لا سيما المتعاملون بتجارة الذهب والملح، كعامل حاسم في نقل المبادئ الإسلامية إلى المراكز التجارية الكبرى مثل أودغشت، كومبي صالح، تنبكتو، جيني، وممالك الهوسا³. إذ كانوا لا يكتفون بالمعاملات التجارية بل كان لهم نشاط ديني ملحوظ تمثل في

¹ مرزدي فاتح وبوخليفي قويدر جمينة، واقع العلاقات السياسية بين دولة المرابطين والسودان الغربي، المجلد 3، العدد 2، سبتمبر 2020، ص 183

² السوننك: قبيلة تكون أغلب سكان إمبراطورية غانة وهي من فروع الماند الأساسية : أي مجموعة الشعوب المتكلمة بلغة الماند، اختلطوا بغيرهم من العناصر ولا سيما البربر، وهو الذي غير بعض الشيء في ألوانهم. ينظر: إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، دار المكتبة العربية، القاهرة، 1970، ص 18.

³ مرزدي فاتح وبوخليفي قويدر جمينة، المرجع السابق، ص 184

بناء المساجد والمدارس وإرسال أبناء النخبة الزنجية إلى الحواضر الإسلامية الكبرى كالمغرب ومصر لتلقي العلوم الدينية.

أما الدعاة وطلبة العلم الذين انتشروا بين القبائل الزنجية، فقد سلكوا طريق الدعوة السلمية، مستلهمين ذلك من التوجيه الإلهي: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾¹ ومن وصايا النبي محمد □ بقوله: "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الدائم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع"²

إن هذا العمل التبشيري السلمي جسّد روح المسؤولية الدينية المنوطة بالمسلمين، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾³، فكان هؤلاء الدعاة أكثر حرصاً على تبليغ رسالة التوحيد وتصحيح المعتقدات الدينية لدى الزوج، التي كانت قائمة قبل الإسلام على المعتقدات الوثنية والتقاليد الموروثة⁴.

ومع مجيء المرابطين في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، بدأت مرحلة جديدة في تحويل المعتقدات الدينية للزوج إلى الإسلام بصورة أكثر تنظيماً وقوة. فقد انطلقت حركة المرابطين العسكرية والجهادية نحو الجنوب، مستهدفة مراكز الوثنية الكبرى في بلاد السودان الغربي. فقد خاضوا معارك عنيفة لسنوات طويلة أبرزها الهجوم على مدينة كومبي صالح، عاصمة مملكة غانة⁵ الوثنية، حيث ظلت تقاوم الهجمات لأكثر من اثنتين وعشرين سنة¹.

¹[البقرة: 256]

²مالك بن أنس، الموطأ، أبوها الإمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس، إخراج وتعليق هاني الحاج، ج. 2، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.، ص. 3.

³[آل عمران: 104]

⁴محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدبه، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص. 38.

⁵غانة : إسم غانة سمة لملوكةا، وإنما إسمها أوكار، وهي مدينتان إحداهما يسكنها الملك والثانية يسكنها الرعية والتجار والسوقة. بينهما النهر والمسكن متصلة على مسافة ستة أميال. وهي على ضفتي بحر الحلو بينها وبين مدينة مثل أنتتا

وكان تأسيس رباط أودغشت سنة 447هـ/1055م بمثابة مركز متقدم للجهاد والدعوة بين الزوج، واستمر العمل الجهادي بعد وفاة قائد الحركة الدينية الأولى يحيى بن إبراهيم تحت قيادة عبد الله بن ياسين، ثم أبي بكر بن عمر، الذي حمل لواء الفتوحات في أوساط قبائل الزوج حتى وفاته سنة 480هـ/1087م.

وقد نجح الأمير أبو بكر بن عمر - كما تذكر المصادر التاريخية مثل "أنيس المطرب" لابن أبي زرع الفاسي - في فتح بلاد السودان امتداداً لثلاثة أشهر سيراً على الأقدام، وفرض الإسلام على من أسلم طواعية أو دفع الجزية على من أبي،² مما أسهم في تحجيم مظاهر الوثنية القديمة ورفع راية الإسلام في معظم أنحاء السودان الغربي.

وكانت معركة السيطرة على مدينة كومبي صالحى سنة 469هـ/1076م أبرز حدث مفصلي، حيث تمكن المرابطون من القضاء على الحكم الوثني وإقامة سلطة إسلامية امتدت آثارها لتشمل مناطق الزوج المتاخمة للجزائر.³ وقد تحول عدد كبير من قبائل السوننك والقبائل الزنجية المجاورة إلى الإسلام، وظهرت معالم التوحيد تدريجياً محل الشعائر الوثنية القديمة.

ورغم أن بعض الباحثين رأوا في تحركات المرابطين دوافع اقتصادية، فإن الدلائل التاريخية والنصوص الدينية تؤكد أن الهدف الرئيس كان دينياً بالأساس: نشر العقيدة الإسلامية، وإعلاء كلمة التوحيد، وإخراج الزوج من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد الأحد، بما يتماشى مع مبادئ الإسلام السامية.

عشرة مرحلة وإلى غربها مدينة بريس مسيرة إثنا عشر يوماً. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص219.
¹ جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر. مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1984، ص61.

² دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ/1038م - 515هـ/1121م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص101

³ طرخان إبراهيم علي، إمبراطورية غانة الإسلامية، دار المكتبة العربية، القاهرة، 1970، ص47

وقد استمر تأثير الإسلام طويلاً في أوساط الزوج حتى بعد تراجع حركة المرابطين، ما يجعلنا نؤكد أن تحول المعتقدات الدينية لزوج الجزائر ومحيطها نحو الإسلام لم يكن نتيجة قسر أو غزو اقتصادي، بل كان بفعل جهود دعوية منظمة وجهادية صادقة استهدفت ترسيخ معاني التوحيد والعدل بين الشعوب الإفريقية¹.

3) المعتقدات الدينية لزوج الجزائر من خلال زيارة ضريح (سيدي أحمد

المجذوب) نموذجاً

يُشكل ضريح سيدي أحمد المجذوب فضاءً دينياً وروحياً هاماً في المخيال الشعبي للعديد من الزوار، ومن بينهم فئة الزوج في الجزائر، الذين يحملون تمثلات خاصة للمقدس تُميز علاقتهم بالولاية والكرامة. وقد أظهرت المعاينة الميدانية أن الزوج لا يزورون الضريح فقط بدافع التدين أو أداء النذور، بل يحملون في وعيهم الجمعي تصورات غنية تتصل بعالم البركة والكرامات.

وتقوم معتقدات الزوج على أن الأولياء هم وسطاء بين الإنسان والقوة الإلهية،² وأنهم أحياء في قبورهم، يملكون قدرة على الاستجابة للدعاء، وشفاء الأمراض، وجلب الفرج، ودفع البلاء. وقد أظهرت بعض المقابلات مع بعض الزوار في دراسات سابقة من أصول زنجية أن ضريح سيدي أحمد المجذوب يُنظر إليه كمكان "مفتوح على الغيب"، يختزن قوى روحية خارقة، يُمكن الولوج إليها عبر طقوس معينة وأداء بعض الشروط الإلزامية التي تتمثل في:³

1- النية الخالصة: تُعد النية أول وأهم شرط للزيارة، حيث يؤمن الزوج بأن صدق النية

هو الذي يفتح باب القبول، ويُحدد نتيجة الزيارة .

¹مرزدي فاتح وبوخليفي قويدر جمانة ، المرجع السابق ،ص187

²ادموند دوتي، السحر والدين في أفريقيا الشمالية، تر: فريد الزاهي، منشورات مرميس، 2008.دص

³بوطوبة رضوان، المعتقدات الشعبية وأثرها على زيارة الأضرحة لضريح سيدي أحمد المجذوب نموذجاً"مذكرة تخرج لنيل درجة ماستر تخصص أنثروبولوجيا حضرية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2 - محمد بن

احمد-،ص27-28

هذا الاعتقاد يعكس رؤية روحية ترى أن التواصل مع الولي الصالح لا يقوم على الأشكال فقط، بل على صدق القلب ونقاء القصد، وهو ما يتناغم مع البعد الصوفي الذي لطالما تميزت به الممارسات الدينية الإفريقية.

2- الطهارة الجسدية: باعتبار المقام مكاناً مقدساً، فإن الطهارة تُعد شرطاً جوهرياً، ليس فقط في بعدها الفقهي، بل كرمز للنقاء الداخلي والاحترام للفضاء الروحي.

ويُلاحظ أن شرط الطهارة يُمارَس بصرامة أكبر من قبل النساء، خصوصاً من الزائرات الزنجيات، باعتباره احتراماً لحرمة الولي ولقدسية المكان، ويُعبر عن انضباط روحاني متجذر في معتقداتهم.

3- اللباس المحتشم: يُشدد الزوار من الزوج على ضرورة ارتداء لباس محتشم أثناء الزيارة، وخاصة النساء، حيث يُنظر إلى هذا السلوك كمظهر من مظاهر التقديس والتواضع أمام الولي .

هذا التصور يعكس البعد الرمزي للهيئة الظاهرة كمرآة لاحترام الباطن، وهو ما يُبرز الروح الأخلاقية العالية التي تُرافق الفعل الديني في الثقافة الزنجية.

4- الالتزام بالصمت والخشوع: الصمت هو من شروط الزيارة المهمة، حيث يرى الزوج أن الكلام الكثير يُضعف من هيبة المكان، ويُعكر صفو الروحانية.

إنه تصور يُدلل على وعي جماعي يعترف بالآخر، ويُقدر حالته النفسية، مما يُجسد بُعداً تواصلياً صامتاً يُثري طقس الزيارة.

5- تقصير الزيارة: في عرف الزوج، فإن الزيارة كلما كانت خفيفة، كانت أكثر بركة، انطلاقاً من تصور يعتبر أن "المقام ليس للتجول بل للتوسل".¹

¹ لبطوبة رضوان، المرجع السابق، ص 28

هذا الاعتقاد يعكس احتراماً للمكان، وتقديراً للتماذي في استخدامه، باعتباره محجاً لا يُستغل لأغراض دنيوية، بل يُقصد لأداء حاجة روحية ثم مغادرته بهدوء وخشوع.

من بين الطقوس الممارسة في المقام، نجد نحر الدواب وتوزيع اللحم على الفقراء، ربط الأشرطة على شبابيك الضريح، سكب الماء على التربة المحيطة به، إشعال الشموع، وتقديم النذور. كما تقوم بعض النساء، خصوصاً من الزائرات الزنجيات، بالبكاء على أعتاب الضريح، وغسل الوجه بماء الزهر أو بماء يُعتقد أنه "مبارك"، بالإضافة إلى النوم قرب القبر، خاصة في الليالي التي يُعتقد أنها "مفتوحة روحانياً"، كليلة الخميس.

وقد لاحظنا أيضاً أن بعض الزوار الزوج يربطون "بركة" الولي بحدوث الكرامات؛ حيث تم جمع شهادات تؤكد شفاء مرضى بعد زيارة الضريح، أو تحسن ظروف اجتماعية صعبة، أو تيسير الزواج، أو الحمل بعد تأخر طويل. وتؤمن هذه الفئة بأن الولي لا يُميز بين الزوار حسب أعراقهم أو أصولهم، بل يفتح "بركته" لكل من يأتيه بنية خالصة، وهو ما يُعبّر عن بعد كوني في التصور الروحي لدى الزوج¹.

ولعل ما يُميز تمثلات الزوج للمقدس هو هذا التداخل بين الإسلام الشعبي والتصورات الأفريقية القديمة، التي ترى في الأرواح والقوى غير المرئية عناصر فاعلة في الواقع، لا مجرد رموز. كما أن حضور الموسيقى والرقص أحياناً في طقوس "الزيارة" يُعيدنا إلى جذور أفريقية حيث يُعد الإيقاع وسيلة للاتصال بالعالم العلوي.

من زاوية سوسيولوجية، فإن هذا النمط من التدين يُجسد شكلاً من أشكال "الاستمرارية الثقافية" لدى الزوج في الجزائر، حيث يُعيدون تأويل الدين الرسمي بما يتلاءم مع مخزونهم الرمزي والروحي. فزيارة ضريح سيدي أحمد المجذوب، بالنسبة لهم، ليست مجرد فعل ديني، بل تجربة روحية تعيد تشكيل علاقتهم بالوجود، وتُعزز تماسكهم الهوياتي داخل مجتمع قد لا يُنصفهم دائماً اجتماعياً.

¹بطوبة رضوان، المرجع السابق، ص30

ثانيا : اللغة و اللهجات

زنوج الجزائر، خاصة أولئك الذين يسكنون في الجنوب الكبير كمنطقة تمنراست، أدرار، جانت، برج باجي مختار، وبعض نواحي بشار وتندوف، يتميزون بتنوع لغوي غني يعكس عمق أصولهم الإفريقية وتمازجهم الثقافي مع بقية مكونات المجتمع الجزائري.

يتحدث زنوج الجزائر بعدة لغات ولهجات، أهمها:

1- التارقية (تماشق)

يتسم المشهد اللغوي لزنوج الجزائر بتعدد وتنوع يعكس غنى الجذور الثقافية والحضارية لهؤلاء السكان، ومن بين أبرز المكونات اللغوية والثقافية التي تميزهم نجد التوارق الذين يشكلون جزءًا هامًا من هذا النسيج.

يعود أصل التوارق إلى قبيلة صنهاجة، وهي إحدى كبرى قبائل البربر المنتشرة عبر المغرب الكبير، ومن أبرز بطونها قبائل لمتونة،¹ مسوفة، وقدالة، التي سكنت الصحراء الكبرى وأرض السودان، بما فيها جنوب الجزائر.² وقد عرف التوارق منذ القدم بتشبههم بهويتهم الثقافية واللغوية رغم التقلبات التاريخية.

وقال "غوتيه" عن أصل التوارق: *"وفي أعماق الصحراء من ناحية السودان يعيش قوم آخرون من البربر وهؤلاء هم المثلثون الذين كانوا يضعون على وجوههم اللثام، وهو زي يفرقهم عن سائر الأمم. أقام المثلثون في المناطق المجربة الممتدة وسط الصحراء حيث احتلوا أماكن مجاورة لريف الحبشة السودان اليوم، وكذلك المنطقة الفاصلة بين بلاد البربر وبلاد الزنوج."*³

¹ بلاد لمتونة: هي من كبريات قبائل المثلثين بالصحراء الكبرى يسموهم كتاب الأوروبيين الرعاة الكبار أو الجمالين الرحالة الكبار.

² الأصالة: مجلة ثقافية شهرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان، المجلد 21، العدد 67، ص 19.

³ الشاوي، الدلاهي البكاي، أمازيغ الطوارق عبر العصور، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2007، ص 54-55.

يتحدث التوارق لغة خاصة بهم تعرف بـ "التمهاق" أو "التماشق"، وهي لهجة بربرية عريقة تنتمي إلى اللغات السامية الإفريقية. تكتب هذه اللغة بحروف خاصة تُعرف باسم "تيفيناغ"، وهي أبجدية قديمة يعود وجودها إلى حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، حسب النقوش المنتشرة في الصحراء الكبرى وهضبة الطاسيلي.¹

تشير بعض الدراسات إلى أن أبجدية التيفيناغ قريبة في شكلها وتركيبها من الأبجدية الفينيقية،² مما يدل على تفاعل تاريخي وثقافي قديم بين شعوب البحر المتوسط وشعوب شمال إفريقيا. وقد لاحظ الباحثون تشابهاً واضحاً بين بعض حروف التيفيناغ والحروف العربية القديمة، حيث تتشابه حروف مثل الألف والذال والشين في رسمها.

اللغة التي يتحدث بها التوارق تتميز بمرونتها وتعدد لهجاتها، حيث توجد أربع لهجات رئيسية خاصة بالطوارق تتوزع حسب المناطق، وهو ما جعل بعض المستشرقين يصنفون لغتهم ضمن أصعب اللغات على النطق والفهم لغير أهلها. وقد أشار الكاتب الروماني "فلينتوس" إلى صعوبة نطق أسماء قبائلهم ومدنهم لغير الناطقين بلغتهم بقوله: **"يتعذر على حناجر غير البربر أن تستطيع النطق بأسماء قبائلهم ومدنهم"**.³

من الملاحظ أن التوارق، ورغم عزلتهم النسبية، لم يكونوا بمنأى عن تأثيرات اللغات الأخرى، إذ تحمل لغتهم بعض الألفاظ والقواعد التي تتقاطع مع لغات عربية قديمة مثل لهجة "مهرة" في اليمن ولهجات ظفار العمانية، حسب ما أكده الباحثون الميدانيون.

أما بخصوص أبجدية تيفيناغ، فهي تتكون من 22 حرفاً أساسياً، ويقوم التوارق أحياناً بتركيب حرفين للحصول على صوت غير موجود أصلاً. تكتب هذه الحروف في اتجاهات

¹ محمد سعيد، القشاطر: عرب الصحراء الكبرى التوارق، ط1، الدار العربية للموسوعات، 2008، ص36

² العربي، إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1983، ص78

³ محمد سعيد، القشاطر، المرجع السابق، ص51

مختلفة: من اليمين إلى اليسار، أو العكس، وأحياناً من الأعلى إلى الأسفل أو العكس، ما يعبر عن مرونة ثقافية فريدة.

ومن العادات الرمزية المرتبطة بحروف التيفيناغ، استخدام حرف (+) للدلالة على التاء، حيث يُوسم على رقاب الإبل أو يُنقش على الممتلكات كرمز لهوية الانتماء، وليس له أي صلة بالرموز المسيحية كما حاول بعض المستعمرين الفرنسيين الادعاء¹.

ومع دخول الاستعمار الفرنسي، ازداد اهتمام الأوروبيين بلغة التوارق وأبجديتهم، إذ ظهرت مؤلفات مهمة مثل كتاب "الخلاصة النحوية في لهجة التماهاق" و"نحو لغة التيفيناغ"، بالإضافة إلى معاجم وقواميس ضخمة ساهمت في توثيق هذا التراث اللغوي الثري².

إن لغة ولهجات زوج الجزائر، وعلى رأسهم التوارق، تشكل اليوم رصيذاً حضارياً حيويًا، يعكس امتداداً تاريخياً عميقاً وهوية ثقافية أصيلة ما تزال تحافظ على بقائها رغم تحديات العصر الحديث.

2- اللغة الحسانية

تعد اللهجة الحسانية من أهم مكونات الهوية الثقافية للزوج في الجنوب الجزائري، خاصة في المناطق المتاخمة للصحراء الكبرى. وهي لهجة عربية ملحونة، تجمع بين الفصحى وبعض التأثيرات اللغوية البربرية والزنجية، مما يجعلها وعاءً لغويًا غنيًا ومتنوعًا.

¹ محمد سعيد، القشاط، المرجع السابق، ص 42

² العربي، إسماعيل، المرجع السابق، ص 115

تعد اللهجة الحسانية وسيلة التواصل الأساسية لدى قبائل البيضان المنتشرة في الجنوب الغربي الجزائري وموريتانيا والصحراء الغربية. وهي لهجة عربية ملحونة، قريبة من العربية الفصحى، وتعتبر مزيجاً من الفصحى وبعض التأثيرات الصنهاجية الصحراوية (أزناكة)¹.

عرفت اللهجة الحسانية بعض الخصوصيات المحلية، حيث يميل أهل أدرار وتكانت والحوض إلى قلب حرف القاف إلى "عين" مفخمة، مثل قولهم "عبد الغادر" بدل "عبد القادر

3- اللغة العربية و العامية الجزائرية :

مرت العربية الفصحى في الجزائر بمرحلتين رئيسيتين²:

المرحلة الأولى كانت خلال الاستعمار الفرنسي، حيث سعى الاحتلال إلى إحلال اللغة الفرنسية محل العربية الفصحى، مما أدى إلى تراجع استعمالها في المؤسسات الرسمية والتعليمية.

أما المرحلة الثانية، فقد بدأت بعد الاستقلال سنة 1962م، حين استعادت الجزائر سيادتها، وقررت الحكومة الجزائرية اتخاذ كل الوسائل الممكنة، رغم قلة الإمكانيات، لإعادة الاعتبار للغة العربية.

فأصبحت الفصحى اللغة الرسمية للدولة، لغة القضاء والإعلام والتعليم وكافة المؤسسات.

¹ حماد الله ولد سالم، تاريخ بلاد شنقيطي موريتانيا من العصور القديمة للحروب الشريبه الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، ص 191

² سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في الإستعمالات الناطقين الجزائريين، (د - ط)، كنوز الحكمة، 1432 هـ -

تعتبر العربية الفصحى لغة مقام الانقباض، وهي لغة رسمية لها مكانتها الكبرى، خاصة وأنها لغة ديننا الإسلامي ولغة القرآن الكريم، مما منحها مكانة خالدة لدى كافة فئات المجتمع، بمن فيهم سكان الجنوب الجزائري وزنوج الجزائر.

ورغم أنها اللغة الرسمية، إلا أن العربية الفصحى لغة مكتسبة بالتعلم، أي لا يتقنها إلا من مر بالتعليم النظامي، وهو ما يجعلها لغة المدرسة والجامعة وبعض مجالات العلوم. لكن لا تزال بعض التخصصات العلمية، كالتيكنولوجيا والطب، تُدرّس بالفرنسية في الجامعات الجزائرية¹.

بجانب الفصحى، تعتبر العامية الجزائرية لغة الحياة اليومية، وهي اللغة التي يكتسبها الطفل منذ صغره من الأسرة والمجتمع. وتعد العامية لغة التواصل والتخاطب بين الأفراد، بما في ذلك بين زوج الجزائر، الذين يستخدمون لهجاتهم المحلية للتواصل اليومي.

وتتميز العامية الجزائرية بالمرونة والسهولة، فهي لغة الشعب البسيط، لغة الحرفيين والنساء الريفيات، ولغة القبائل الزنجية في الصحراء الجزائرية، الذين حافظوا على إرث لغوي مميز.

وقد أشار عبد المالك مرتاض إلى أن العامية هي اللغة الأم التي يتلقنها الإنسان منذ ولادته من والديه، في حين أن الفصحى تُكتسب عبر التعليم الرسمي بقوله: "العامية الجزائرية يتمثل هيكلها اللغوي وما يمكننا قوله أن العامية لغة تمتاز بالمرونة والسهولة، فهي من إنشاء العامة، تلك الطبقة البسيطة التي لا يشترط فيها مستوى تعليمي، بل والعامي هو ذلك الأمي، ذلك الحرفي، تلك المرأة البسيطة التي لا تعرف من الحياة سوى فن البيت، وهي تلك المرأة الريفية التي ترعى إبلها وتحلب بقرها، بل العامي هي قبل كل شيء اللغة الأم التي يتعلمها المرء في مراحل الأولى بعد ولادته، فهو يلقنها من الوالدين ومن الإخوة

¹المرجع نفسه، ص29

ومن الجدين إن وجدا ومن المجتمع عامة، أما اللغة الفصحى فهي اللغة التي تكتسب بالتعلم¹.

تعدد اللهجات العامية في الجزائر حسب المناطق، ويمكن تصنيفها إلى خمسة أصناف رئيسية²:

- صنف الشمال الشرقي (قسنطينة ومحيطها).

- صنف الوسط (العاصمة وما جاورها).

- صنف الشمال الغربي (وهران ومحيطها).

- صنف الجنوب الشرقي (الوادي، بسكرة، تبسة، خنشلة).

- صنف الجنوب الغربي (النعامة، تندوف، بشار).

وتتسم لهجات زوج الجزائر بالتعدد والتلون، نتيجة التفاعل بين العربية الفصحى واللغات الإفريقية الأصلية، وكذلك نتيجة الانفتاح على ثقافات الجوار الصحراوي.

تخضع لهجات زوج الجزائر، مثل غيرها من اللهجات المحلية، لعدة عوامل منها الوراثة الطبيعية للغة، تأثير البيئة الاجتماعية والجغرافية، والتفاعل مع لغات وثقافات أخرى عبر التاريخ.

فالتعدد اللهجي ناتج عن عوامل اجتماعية وطبيعية في آن واحد، حيث تؤثر الطبيعة الفيزيولوجية، البيئة الجغرافية، والجوار الثقافي على تطور اللغة.

¹سهام مادن، المرجع السابق، ص35

²عمر شيخة بلقاسم، اللهجات الجزائرية بين التباعد والانسجام، مجلة الممارسة اللغوية، تيزي وزو، العدد 2، أكتوبر

2018 م، ص41

واللغات واللهجات باعتبارها ظاهرة اجتماعية حية، تتغير بتغير المجتمعات والظروف، كما يحدث تمامًا مع لهجات زوج الجنوب الجزائري.

وتُعد الجزائر بحكم مساحتها الجغرافية الكبيرة، الممتدة من البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى عمق الصحراء جنوباً،¹ موطنًا لغنى لغوي ولهجي كبير، من أبرز مظاهره تنوع لهجات زوج الجزائر، الذين يشكلون جزءًا مهمًا من النسيج اللغوي والثقافي الوطني.

¹ رماضنية عيشوش و رقاب صفية، التنوع اللغوي واللهجات في الجزائر -دراسة في التعدد اللغوي- ، مذكرة ماستر في لغة وأدب عربي دراسات لغوية لسانيات تطبيقية، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2021/2022، ص72

خلاصة الفصل :

يتناول هذا الفصل العادات والتقاليد في الطبوع الإجتماعية والثقافية لزنوج الجزائر وقد سلط الضوء على مجموعة من المظاهر الإجتماعية بداية بالعادات اليومية التي تشمل التقاليد المرتبطة بالزواج والمناسبات العائلية والإحتفالات الدينية. كما تناول الفصل الباس التقليدي الذي يعكس تأثيرات بيئية وإجتماعية وأنماط الموسيقى والرقص الدال على الترابط القوي بين أفراد المجتمع .

الفصل الثالث
العادات و التقاليد
في الطبوع الإجتماعية
والثقافية

تمهيد :

تزرخر الجزائر بتنوع ثقافي يعكس إمتزاج حضارات متعددة .فالمجتمع الزنجي ساهم في إثراء المشهد الثقافي الجزائري من خلال عاداتهم وتقاليدهم فهي تعد من أهم ملامح تميزهم داخل المجتمع الجزائري.

يحاول هذا الفصل أن يسلط الضوء على الجانب الثقافي من خلال العادات المرتبطة بالحياة اليومية التي شكلت سلوكهم داخل الأسرة والمجتمع مثل الأكلات الشعبية والإحتفالات الدينية مع إستعراض نمط لباسهم التقليدي المميز وأخيرا التطرق إلى أنماط الموسيقى والرقص التي كانت ولا تزال تعبيراً عن الفرح والهوية والانتماء الجماعي.

أولاً : العادات و التقاليد الاجتماعية

العادات الاجتماعية للفئات الزنجية في الجزائر، مثل الحراطين وإكلان، تتميز بخصوصيات ثقافية عميقة متأثرة بالبيئة الصحراوية، والدين الإسلامي، والتقاليد الإفريقية القديمة، وتظهر في أنماط الحياة، الطقوس، والعلاقات الاجتماعية.

فيما يلي أبرز العادات الاجتماعية المميزة لهذه الفئة:

1) العادات المرتبطة بدورة الحياة و التقاليد اليومية : تتمثل فيما يلي**أولاً: الخطوبة و الزواج**

في المجتمعات الزنجية التقليدية، كما هو الحال عند الطوارق، كانت الخطبة تُبادر بها عائلة الشاب، حيث يقوم الوالد باختيار الزوجة المناسبة، ويُرسل النساء من العائلة (كالخالدة أو العمّة) محمّلات بالهدايا وجهاز رمزي للخطبة، مثل خمار أو قطعة قماش، وخاتم من حديد أو فضة حسب الوضع المادي. وغالبًا ما يُحترم قرار الأهل في هذه المرحلة. أما

اليوم، فقد تغيرت هذه العادة وأصبح الشاب هو من يختار، لكن لا تزال العائلة تحتفظ بدورها في طلب يد الفتاة ومراسم الخطوبة الرسمية¹.

ثانياً: العرس

تُقام سهرة قبل الزواج تُسمى "الديوان"، وهي احتفال جماعي تُنشد فيه الأغاني التقليدية وتُؤدى الرقصات الإفريقية الخاصة بهم، ويُستخدم فيها البندير والمزمار. يستمر العرس عند الزوج لعدة أيام، تتخلله طقوس فنية وغنائية، تشبه الطابع الاحتفالي لدى الطوارق. يتم تحديد تاريخ العرس غالباً حسب الظروف المناخية أو توقيت مناسب اجتماعياً، ويُقام في أماكن رحبة ومفتوحة. في اليوم الأول، يُحضر أهل العريس جهازاً يُعرف محلياً باسم "تهار الدفع"، ويتكون من لحوم وأغراض منزلية وملابس وحلي، ويتم عرضها أمام الحاضرين خاصة النسوة، في جو احتفالي يتخلله الرقص الشعبي وضرب الطبول وقرع القراقب². (الملحق رقم 08)

ثالثاً: حنة العروس:

يوم الحناء يُعد من أبرز المحطات في العرس الزنجي، حيث تجتمع الفتيات حول العروس وتُنشد الأناشيد التقليدية ويُعزف التيندي أو الطبول الإفريقية، بينما تقوم امرأة مسنة بوضع الحناء على يدي العروس ورجليها، وسط طقوس غنائية وزغاريد تعبيراً عن الفرحة³.

رابعاً: عقد القران والزفاف:

في اليوم الثالث غالباً، يُعقد القران بحضور الإمام والمدعوين، وتُذبح الأضاحي (خصوصاً الجمل أو الخروف)، وتُحضّر أطباق تقليدية مثل "التاغلة" أو "الزناتي"¹ أو

¹ فيروز بن رمضان، المرجع السابق، ص330

² فيروز بن رمضان، المرجع السابق، ص330

³ خنيش أحمد، بن جدو عبد القادر محي الدين الجبلاي، سيد أحمد بن بلحبيب، الزواج التقليدي في الأغواط من منظور أنثروبولوجي، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد الأول، العدد الرابع (ديسمبر 2019)، ص139

"تلبقت"²، ويبدأ موكب العروس والعريس في المساء، حيث تُزف العروس مزينة بالكرم وتلبس ثوباً أبيض يُعرف أحياناً بـ"الكفن"، وتُغطى بمنديل أبيض. أما العريس، فيلبس عباءة بيضاء، ويتوشح بسيف أو خنجر رمزي³.

خامساً: الشامية والخروج:

في اليوم الرابع، تُقام طقوس رمزية لجلب الخصوبة، مثل رمي الحشائش فوق العروس، ويتم جمعها من طرف النساء وإطعامها للماشية، اعتقاداً بأنها تجلب البركة والنسل. أما في اليوم الخامس، فتخرج العروس في زيّ تقليدي مطرز يُعرف بـ"الجوالي"، وتزور أهلها وتستقبل الهدايا. وفي اليوم الأخير، تُنظّم وليمة ختامية تُعرف بـ"الكرامة" داخل البيت الجديد، تجمع أهل العروس والعريس للدعاء والتبريكات، وبها يُختتم العرس⁴.

سادساً: جهاز العروس لدى الزوج الجزائريين

يحتل جهاز العروس مكانة مهمة في طقوس الزواج عند الزوج الجزائريين، لا سيما في مناطق الجنوب الغربي والجنوب الكبير كأدرار، تيندوف، بشار، وتمنراست، حيث تتجلى الخصوصية الثقافية التي تميز هذا المكون الاجتماعي الأفريقي في عناصر الجهاز وزينته.

يتضمن جهاز العروس الزنجية مجموعة من الأغطية التقليدية المصنوعة من الصوف أو القطن، مثل الزربية البسيطة، والوسائد التي تُنسج يدوياً وتُحشى بالصوف، ويطلق على الكبيرة منها "جريدي" وتُخصص عادة للنوم الزوجي. وتُستخدم هذه الأغطية والفرش لإعداد سرير العروس بطريقة تقليدية تحمل لمسة جمالية وروحية⁵.

¹ طبق الزناتي يصنع من الكبد مع اللحم والشحم.

² طبق تلبقت : يطهى اللحم في الماء والثوم ثم يدق في مهراس من خشب.

³ فيروز بن رمضان، المرجع السابق، ص332

⁴ المرجع نفسه

⁵ <http://www.m-culture.gov.dz/mc2/ar/mariage.php>

أما فيما يخص الحلي، فهي عنصر أساسي في جهاز العروس الزنجية، لكنها تختلف عن الحلي المعروفة في الشمال الجزائري من حيث المادة والشكل. فعوضاً عن الذهب، تُستخدم الحلي المصنوعة من الفضة أو النحاس أو الخرز الملون، وتحمل هذه الزينة دلالات رمزية مرتبطة بالحماية، الخصوبة، والبركة. من أبرز هذه الحلي¹:

- العصابة: وهي شريط يُلف على الرأس، غالباً ما يُزيّن بحجر في المنتصف.
 - الجبين: زينة توضع على الجبهة.
 - الشنفلات: وهي أقراط كبيرة الحجم تُعلق في الأذنين.
 - الخللخال: مصنوع عادة من الفضة أو النحاس، وله أشكال مختلفة منها "رأس الحنش" أو "الذوادي".
 - المعاصم والمناقيق: توضع على الذراعين والرسغين.
 - اللبه: وهي قلادة تتكون من خيوط سوداء تتدلى منها قطع ذهبية أو معدنية.
 - الزُّنَّار: وهو حزام تقليدي يُلف حول الخصر، غالباً ما يكون مزخرفاً، ويضفي على العروس طابعاً مميزاً.
- كما تتضمن الزينة مجموعة من الخواتم تُوضع في أصابع اليد، أحياناً يصل عددها إلى ثلاث في الإصبع الواحد، إضافة إلى حلي تُزيّن منطقة الصدر تُعرف بـ"الرعيشة" أو "الصارمية"، وهي خيوط مربوطة تتدلى منها زخارف معدنية.
- تكتمل هذه الزينة بلباس تقليدي تُعرف أجزاؤه بأسماء محلية، مثل "الملحفة" التي تُلفّ حول الجسم، و"القاط" الذي يُرتدى فوقها، و"الحفاة" التي تُزين بها الأكتاف، إلى جانب منديل خاص يُستخدم لجداول الشعر.

¹ <http://www.m-culture.gov.dz/mc2/ar/mariage.php>

يمثل هذا الجهاز، برموزه وأشكاله، مزيجًا من الجمال، المعتقد، والانتماء، ويعكس العمق الثقافي الذي تحمله المرأة الزنجية في انتقالها من حياة العزوبة إلى الحياة الزوجية، ضمن طقوس يُحافظ عليها بدقة وإجلال داخل المجتمع.

ثانياً: الميلاد

يحظى المولود الجديد بمكانة مميزة في المجتمع الزنجي التواتي، إذ تعكس طقوس الولادة روح التضامن والتكافل بين أفراد الجماعة. فور سماع خبر الولادة، يتوافد الأقارب والجيران لتهنئة الأم والدعاء لها بالسلامة، وتقديم الهدايا التي تشمل الملابس، النقود، الأعشاب الطبية، والخضر الموسمية مثل البصل والثوم والفلفل، وهي عناصر لها دلالة رمزية في الثقافة الزنجية كرموز للحماية والصحة.

النساء الأكبر سناً يلعبن دورًا مهمًا في هذه المناسبة، من خلال تقديم النصائح حول رعاية الطفل واستعمال وصفات تقليدية موروثة، تعتمد غالباً على الطب الشعبي، الذي يمثل جزءاً من الموروث الإفريقي المتجذر في هذه الفئة من السكان.

تحمل تسمية المولود عند زواج الجنوب الجزائري حمولة رمزية ودينية قوية. غالباً ما تُسند هذه المهمة إلى الجد أو شيخ معروف بالصلاح، رغبة في بركة الاسم وتأثيره على مستقبل الطفل. ومن الشائع إطلاق أسماء تحمل طابعاً دينياً مثل "محمد"، "فاطمة الزهراء"، أو أسماء أولياء صالحين من المنطقة مثل "عبد القادر"، "مولاي الطيب". كما يُطلق على المولود أسماء مستمدة من توقيت الولادة مثل: رمضان، عاشوراء، أو جمعة¹.

¹سعدون مراد، التنمية و التنمية المستدامة في الصحراء الجزائرية دراسة أنثروبولوجية لإستراتيجيات التنمية المستدامة في إقليم توات، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث في أنثروبولوجيا التنمية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2024/2023،ص158

ومن الملاحظ أن بعض الأسماء كانت تُميز العبيد سابقًا، وتوارثها زوج المنطقة مثل: بوجمعة، فراجي، بركة، رابح، مولود، عبد النبي... وهي أسماء لها بعد اجتماعي وتاريخي داخل المجتمع التواتي.

بعد مرور سبعة أيام من ولادة الطفل، تقام "العقيقة"، وهي وليمة تجمع الأقارب والجيران، يتم خلالها ذبح خروف، وتقديم أطباق تقليدية كـ"الكسكس باللحم والبيض"، وغالبًا ما يدعى الفقهاء لقراءة القرآن، في مظهر يدمج بين البعد الإسلامي والطقوس الجماعية التي تُظهر وحدة المجتمع الزنجي في الاحتفال بهذه المناسبة.

يُعتبر الختان طقسًا مهمًا في حياة الطفل، وكان في الماضي يتم وفق طقوس خاصة ذات طابع احتفالي، حيث يُجلب الطفل بلباس أبيض ويجلس على "الهنون المقلوب"، ويقوم المختن (الريان) بالعملية باستخدام أدوات تقليدية، بينما تزغرد النسوة ويغنين أهازيج دينية تمجّد الختان والدين. أما اليوم، فقد تغيرت هذه الطقوس بتأثير الحياة الحضرية، وأصبحت تُجرى العملية عند الطبيب، لكن الاحتفاء بالمناسبة لا يزال قائمًا¹.

ثالثا: الوفاة وطقوس الأربعين

ترتبط الوفاة بجملة من الطقوس التي تمزج بين المعتقدات الإسلامية والتقاليد الزنجية. بعد الدفن، يُنظم يوم "الأربعين"، حيث يُعاد إحياء ذكرى الميت من خلال ختم القرآن وإعداد وليمة، في طقس يرمز لمرحلة الانتقال من الدنيا إلى الآخرة. الرقم "أربعين" يحمل رمزية خاصة في الثقافة الزنجية، إذ يُعتقد أنه يمثل مرحلة عبور روعي، وهو ما يتقاطع مع الموروث الإسلامي الشعبي الذي يرى في الأربعين فترة تحول وعودة للخصوبة أو الاستقرار.

¹سعدون مراد، المرجع السابق، ص159

ويُلاحظ أن هنالك تقاطعا بين طقوس الموت والميلاد، فكلاهما يُرتبط بالأربعين، مما يعكس نظرة شمولية للدورة الحياتية في ثقافة زنج الجنوب الجزائري، حيث يُنظر للحياة والموت كحلفتين متصلتين في مسار الوجود الإنساني¹.

كما تشارك النساء بألعاب تمثيلية مثل "الستوتة"، حيث تنتكر امرأة في زيّ رثّ وتحمل مهازًا، فيما تدّعي أخرى أنها حامل وتتلوى على الأرض في مشهد فكاهي رمزي.

من الممارسات الأخرى، إعداد طبق "القول" الذي يُنقع في الماء ليومين ويوزع بنية الصدقة، ويقولون: «راهي دارت القول صدقة على والديها». كما يُصام يومي التاسع والعاشر أو العاشر والحادي عشر من محرم.

وكانت تُقام وليمة جماعية تُعرف بـ"المعروف" عند ضريح الولي سيدي علي بن عثمان، تُذبح فيها الشياه ويتشارك فيها الجميع حسب الاستطاعة، حيث تُعد النسوة "البركوكس" ويوزع على الفقراء. غير أن هذه الممارسة اندثرت في السنوات الأخيرة بسبب الفتاوى السلفية التي حرّمتها، غير أن بعض الأسر "التمرنية" لا تزال تحييها داخل منازلها، ما يعكس تمسكًا عميقًا بالهوية والذاكرة الجماعية².

ومن بين أبرز التقاليد أيضًا أغنية البنات "قوا قوا"، حيث تُلبس فتاة صغيرة لباس العروس وتُرافقها الفتيات من بيت لآخر يغنين ويرقصن ويجمعن الحلوى والنقود، ويرددن:

هاي قوًا قوًا قوًا..... يا كي طايقة

طايقة على سيدي السلطان

قوا صلي و توضي..... باش يغفرلك ربي

صابة صيبة..... هاي لالة (انظر الملحق رقم 09)

¹سعدون مراد، المرجع السابق، ص159-160

²مريم لمام-محمدي، المرجع السابق، ص42

إن هذه الطقوس والممارسات، على غرابتها وتنوعها، تعكس تداخل البعد الديني مع البعد الأسطوري والاجتماعي، وتكشف عن خصوصية ثقافية غنية لدى زوج الجزائر في الجنوب، وتحديدًا المجموعات ذات الأصول "التمرنية"، الذين حافظوا على هذه الموروثات رغم تغير أنماط العيش وظهور توجهات دينية جديدة.

العادات والتقاليد اليومية

تشكل العادات والتقاليد جزءًا أصيلًا من هوية زوج الجزائر، وهي عادات ذات طابع جماعي تُمارَس في سياقات دينية واجتماعية وإنسانية، تعكس منظومة من القيم مثل الكرم، التضامن، الاحترام، والارتباط بالرمز والبركة. من بين هذه العادات نذكر:

1- عادة الشاي

يُعد شرب الشاي من الطقوس الأساسية في حياة المجتمع، وهو أكثر من مجرد مشروب؛ بل رمز للكرم والتقدير. ويُقال إن الإحسان دون شاي لا يُعتبر إحسانًا كاملًا. وكان الشاي قديمًا لا يُقدَّم إلا لكبار القوم، وله جلسات مخصصة تتضمن ثلاثة كؤوس، وقد يُزاد كأس رابع في حالات استثنائية، مثل الرغبة في إخراج صدقة أو إتمام حديث لم يكتمل.

2- تازورة لربعة (أو حوض لربعة)

وهي عادة جماعية ذات طابع خيري تُمارَس في فترات القحط أو الأزمات أو لطلب الغيث.¹ تقوم بها امرأة معروفة بالبركة، فتجوب الخيام وهي تجر وعاءً فارغًا وتتشد "تازورة لربعة ها هي عامرين"، فيهبّ الناس للتبرع بما يملكون من مؤونة (لبن، تمر، شعير...)، ويُصرف ما جُمع للغرض المقصود، أو يُوزع على الأطفال تيمنًا ببراءتهم.

3- عادة المعروف

¹حمادي علال الذاييف، أضواء على الساقية الحمراء ووادي الذهب لهجة و تقاليد، دار النشر وزارة الثقافة الصحراوية ، ط

وهي إحدى صور التضامن، حيث يساهم الجميع في نحر رأس من الإبل أو الغنم، وتوزيع لحمه على الفقراء وسكان المنطقة. المشاركة واجبة، حتى لمن لا يملك المال، فيقدم جهده (كأن يذبح أو يسليخ). وتُرفق المناسبة بالدعاء طلباً للبركة ودفع البلاء.

4- عدم إعادة الإناء فارغاً

عندما يُرسل الجار إناءً مليئاً بالطعام أو الشراب، لا يجوز إرجاعه فارغاً، بل يُعاد وفيه شيء -ولو قليل- من باب رد الجميل والفأل الحسن، إذ يُعتبر الرد الفارغ نذير شؤم وزوال بركة.

5- ليلة النايير

تقام وليمة تقليدية في ليلة رأس السنة الفلاحية (فاتح يناير)، تتكوّن من مأكولات شعبية كاللبن والدهن والشعير، ويُعتقد أن من لم يشبع في تلك الليلة، سيعاني الجوع طوال السنة.

6- عادة الحبس

تتمثل في التبرع الدائم بالنوق أو الشياه للضعفاء دون أن يملكوا حق بيعها، بل يستفيدون من لبنها وشعرها، ويُسمح لهم باستخدامها في الحرث أو النقل. كما يشمل ذلك تخصيص أموال لحفر الآبار وبناء صهاريج المياه المفتوحة في سبيل الله¹.

7- المنيحة

هي عادة إحياء الثروة الحيوانية لمن فقدها، حيث تُمنح له نياق حلوب أو جمال بشكل مؤقت إلى أن تستقيم حاله. يُعيدها إذا أحب، أو يحتفظ بها، حسب الحاجة. ويُعيب المجتمع من يأخذ المنيحة دون حاجة².

¹ حمادي علال الذاييف، المرجع السابق، ص 131

² محمد سالم بن لحبيب بن الحسن بن عبد الحي، تحقيق و تقديم مصطفى ناعمي، مصدر المعهد الجامعي للرباط، ط

8- منع حمل النار

يُمنع حمل عود مشتعل من نار الجيران، خشية الحريق أو جلب الضرر. عوضاً عن ذلك، يُقدّم الكبريت لإشعال النار في مكانه.

9- وصية الغائب

عند سفر أحدهم، توجّه له وصية رمزية (كأن يُطلب منه شراء شيء)، لا لذاته، بل لضمان رجوعه سالمًا.

10- خط حريز

يُرسّم بخط من الحناء في كفّ الطفل ليلة عاشوراء أو الأعياد، رمزاً للفرح والحماية.

11- ختم القرآن

عند إتمام حفظ القرآن، يُحتفى بالحافظ احتفالاً دينياً واجتماعياً بحضور فقهاء، وتُقام الولائم وتُقدّم الصدقات، ويُلقّب الطفل منذ تلك اللحظة بـ "سيدي فلان" أو "الشيخ فلان".

12- القطران في ليلة 27 من رمضان

يُعتقد أن ليلة القدر تمثّل لحظة إفطار الجن، فتُمارس طقوس لطرذ الأذى، مثل وضع القطران على الجبهة وغلي الأواني وحرق الملح، كوسيلة وقائية.

13- الامتناع عن السفر يوم الثلاثاء

يُعد يوم الثلاثاء يوم شؤم لا يُفضّل فيه السفر، إلا قبل الفجر أو بعد الظهر، تجنّباً للحوادث والضرر¹.

14- كشية الجديد (أو أكشاش الجديد)

¹حمادي علال الذاييف، المرجع السابق، ص 141

عند بناء خيمة جديدة أو شراء سيارة أو ماشية، يجب "سيلان الدم"، أي نحر ذبيحة ودعوة الجيران، لطلب البركة ودفع الشر.

(2) الاكلات الشعبية

تُعدّ المأكولات الشعبية جزءًا أساسيًا من التراث الثقافي لزنج الجزائر، حيث تعكس طريقة عيشهم، وارتباطهم بالأرض والبيئة الصحراوية، خاصة في المناطق الجنوبية مثل الهقار وتمنراست وأدرار، أين يندمج العنصر الزنجي مع الطابع الأمازيغي الصحراوي ليشكل هوية غذائية مميزة.

يعتمد سكان هذه المناطق، لا سيما من أصول زنجية، على ما توفره البيئة من منتوجات محلية مثل الحبوب، لحوم المواشي وألبانها، مع اعتماد كبير على طرق طهي تقليدية توارثوها عبر الأجيال، ومن أبرز هذه المأكولات¹:

• **الخبز الصحراوي**: يعتبر الخبز بمختلف أنواعه غذاءً أساسياً، خاصة أثناء الرعي، ويرافق غالباً بالحليب. ومن أشهر أنواعه:

- **تاجلة (أو خبز التراب)**: من أطيب المخبوزات، يُحضّر من الدقيق الخشن والماء والملح، ويُطهى بدفنه في الرمل الساخن وتغطيته بالجمر، ثم يُقدّم مع مرق اللحم والخضار.

- **التونفالة**: نوع آخر من الخبز يُطهى في طاجين أو مقلاة خاصة، أقل سمكاً من التاجلة، ويؤكل صباحاً مع الحليب أو الشاي.

- **الراضي**: خبز صغير بحجم راحة اليد، يؤكل مع الشاي أو بدونه.

- **الفتاف (أو الرقاق)**: شبيهة بالشخشوخة البسكرية، لكنها تختلف من حيث طريقة التحضير.

¹ فيروز بن رمضان، المرجع السابق، ص 332-333

• **إيسان (لحم النار):** من أشهر أطباق اللحوم التقليدية، حيث يُتبل اللحم بالثوم والفلفل الأسود والملح، ثم يُدفن في الرمال الساخنة ويُغطى بالجمر حتى ينضج، ما يمنحه نكهة فريدة.

• **الملفوف:** طبق تقليدي لا يُستغنى عنه في الأعياد والأعراس، ويتكوّن من كبد الغنم المقطّع والمُلقّف في الشحم، ويُشوى على الجمر باستخدام أسياخ خاصة.

• **الكسكس:** يُعد سيد الأطباق التقليدية الجزائرية، ويُعرف في بعض المناطق الجنوبية باسم "العيش" أو "الطعام"، ويُعتبر الوجبة الرئيسية في المناسبات. يُحضر عادة بشكل جماعي من طرف النساء، عبر تشكيل حبيبات السميد يدويًا، ثم يُطهى بالبخار في عملية تُعرف بـ"التعصار". يُقدم مع المرق بالخضار واللحم، وفي المناسبات يُضاف إليه البيض والملفوف¹.

• **كسكس الشعير:** نسخة خاصة من الكسكس التقليدي، يُحضر بإضافة دقيق الشعير، ويحتاج إلى كمية وافرة من السمن. يُفضّل تناوله مع اللحم، خصوصًا في شهر رمضان، لما له من قدرة على مقاومة الجوع والعطش.

• **الكسرة (تاجلة):** من الأكلات الأكثر رمزية في الجنوب، تُحضر بدقيق القمح، وتُطهى غالبًا على الرمال الساخنة أو فوق صخور محماة. تُقسم بعد نضجها وتُسقى بالمرق وتُقدّم باللحم، وقد تُحشى بالخضروات أو تُقدّم باللبن المحلي، ما يعكس تكيف المرأة الزنجية الصحراوية مع البيئة وظروفها.

• **المردود:** شبيه بالكسكس لكن حبيباته أكبر حجمًا، ويتميّز بخلطه مع المرق الغني بالحمص واللحم، ما يجعله وجبة غنية ومغذية، خصوصًا في المناسبات الاجتماعية والعائلية.

¹ عزالدين جعفري، المرجع السابق، ص 93-94

3) الاحتفالات الدينية: للاحتفالات الدينية أهمية بالغة عند الزوج

أولاً: إحياء مناسبة العيدين

يتميز مجتمع زواج الجنوب الجزائري، خاصة بمنطقة توات، بطقوس احتفالية فريدة في إحياء المناسبات الدينية الكبرى كعيد الفطر وعيد الأضحى، تعكس تمازجاً بين الموروث الديني الإسلامي والخصوصيات الثقافية الإفريقية المحلية.

فعيد الفطر، الذي يلي شهر رمضان المبارك، يُعد مناسبة مركزية في حياتهم، ويُشرع في التحضير له منذ ليلة القدر، التي توافق عادةً ليلة 26 من رمضان حسب تقاليدهم. تبدأ التحضيرات داخل البيوت حيث تشغل البنات بصنع مختلف أنواع الحلويات التقليدية، بينما تُحضّر النساء الحناء المحلية وتجهز البخور لتنظيف وتطيب المنزل. أما الرجال، فيتوجهون في الغالب ليلاً - تجنباً لحرارة الصحراء الشديدة - إلى الأسواق لاقتناء ملابس العيد¹.

وفي الليلة التي تسبق العيد، تُقام فعاليات متنوعة تعكس البعد الروحي والاجتماعي للحدث، منها تكريم حفظة القرآن الكريم الذين شاركوا في المسابقة الرمضانية، ويُلقى أحد الأئمة محاضرة توجيهية حول أهمية العيد وآدابه. وتُخصّص هذه الليلة كذلك لأنشطة الأطفال، حيث يجتمعون في مجموعات صغيرة لتنظيم ما يُعرف محلياً بـ"الخالوطة"²، وهي حفلات بسيطة يُمولونها من خلال جمع ما استطاعوا من نقود، وتختلف من حيث الشكل والمحتوى بحسب أعمارهم أو ما تم جمعه من مال. وفي نفس الوقت، يتطوّع عدد من الشبان لتنظيف المسجد وتطيبه بالبخور والطيب استعداداً لصلاة العيد.

¹ عز الدين الجعفري، المرجع السابق، ص 101-102

² خالوطة: هذه الكلمة مشتقة من الخلط أو المزج، فيخلط الأطفال نقودهم، ويقيمون وليمة أو حفلة بأصناف مختلفة من الحلويات والمأكولات وليس بنوع واحد فقط.

مع حلول فجر يوم العيد، يتوجه السكان لأداء صلاة الصبح جماعة، ثم يتفرغ الفلاحون لزيارة مزارعهم التي تُعرف باسم "الجَنَّة" محلياً، قبل العودة للمشاركة في صلاة العيد، التي تُؤدى عادة متأخرة مقارنةً بمناطق الشمال. يتجمل المصلّون بأبهى الملابس ويملأهم شعور بالفرح والغبطة، مرددين عبارات التسبيح والتهليل حتى دخول الإمام بقولهم:

سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ

وبعد الصلاة، يُلقى الإمام خطبتي العيد وتُختتم بالدعاء الجماعي الذي يُسمى محلياً "الفاحة"، إذ يُعتقد أنه فاتحة للخير والبركة.

عقب الصلاة، يبدأ تقليد المغفرة، حيث يُشكّل المصلّون صفين متوازيين يتصافحون ويتبادلون الدعاء والتمنيات الطيبة، ثم ينطلقون جماعات لزيارة الشيوخ والمرضى وكبار السن، مرددين أناشيد ترحيبية ذات طابع صوفي وإيقاع أفريقي مميز. وتُنظّم هذه الزيارات في ساحات القصور أو في الطرقات حسب عدد المساجد. وتُختتم هذه الطقوس الجماعية بانطلاق العادات الفردية الخاصة بكل عائلة، حيث تجتمع العائلة الممتدة في بيت الجد (إن وُجد)، لتناول وجبة الإفطار وشرب الشاي وتبادل الحلويات¹.

أما في عيد الأضحى، فتتكرّر بعض الطقوس نفسها، مع إضافة خصوصيات تتعلّق بالأضحية. حيث يحرص العديد من السكان على تربية أضحيتهم قبل العيد بأشهر، دون الإعلان عن اختيارها صراحة، كما يتم في الليلة السابقة تزيين الأضحية بالحناء وإطعامها بالشعير. وفي صباح العيد، يُحضرون "تراّباً نقيّاً" ليكون مكان الذبح، ويقوم رب الأسرة بذبح الأضحية بحضور كافة أفراد العائلة، فيتناولون أولاً الكبد والأحشاء، وقد يكون ذلك أول فطورهم.

¹ عز الدين الجعفري، المرجع السابق، ص 103-104

ومن مظاهر التضامن الاجتماعي الفريدة في هذه المناسبة، أن بعض العائلات تتشارك في أضحية واحدة، خاصة الأسر الفقيرة، بحيث يتبرع أحدهم بها، ويتقاسمها الباقون. كما يُوزَّع ربع الأضحية للفقراء، ويتجول الشباب بين الأزقة لتوزيع الصدقات.¹ ومن الممارسات ذات الأصول الإفريقية أيضاً، استخدام دم الأضحية في طقوس علاجية، إذ يدلك بعض السكان أجسامهم به اعتقاداً في خصائصه الشفائية.

تعكس هذه الطقوس والاحتفالات بعداً ثقافياً غنياً وعميقاً يميز زواج الجنوب الجزائري، ويُظهر كيف تمتزج التعاليم الدينية الإسلامية بالعادات الاجتماعية والممارسات الإفريقية القديمة، مما يجعل من الأعياد مناسبة للتجديد الروحي، والتضامن الأسري، والتلاحم الاجتماعي.

ثانياً: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

يُعدّ المولد النبوي الشريف من أبرز المناسبات الدينية التي تحتفل بها المجتمعات الزنجية في الجزائر، إذ تُمثل هذه الذكرى لحظة روحية واجتماعية متميزة، تجمع بين تمجيد السيرة النبوية والتعبير الثقافي الشعبي العريق.

تبدأ التحضيرات لهذه المناسبة منذ بداية شهر ربيع الأول، حيث تُحیی الليالي الأولى من الشهر بتلاوة المدائح النبوية والقصائد التي تتغنى بصفات الرسول ﷺ وأخلاقه، مثل قصيدة البردة والهمزية، إضافة إلى متون محلية تُتلى على الحضور في أجواء يسودها الخشوع والمحبة. كما يُقرأ أحياناً كتاب صحيح البخاري خلال السهرات، في تأكيد على البعد العلمي والديني لهذه الاحتفالات.

ومن أبرز مظاهر الاحتفال، تقديم وجبات تقليدية ذات دلالة رمزية، أبرزها أكلة الكسرة المحشوة بخليط من الخضروات والتوابل، وفي بعض الأحيان بلحم القديد أو لحم الطيور

¹مزيان عبد الله، الأبعاد التربوية في عادات وتقاليد أهالي مغنية ونواحيها، مخطوط رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2003/2004، ص24

التي يصطادها الأطفال. ويُنظر إلى هذه الأكلة باعتبارها موروثاً لا يُمكن الاستغناء عنه مهما تطورت أوضاع المعيشة، لما لها من رمزية ترتبط بقدسية المناسبة¹.

ويُخصص الأطفال والفتيات جانباً من الاحتفال بطريقتهم الخاصة، حيث تقوم الفتيات بتنظيم حلقات غناء جماعي مصحوب بالدفوف والرقصات الجماعية في أماكن مفتوحة، وغالباً ما يُطلق على هذه الحفلات اسم "بابا عاشور"، وتُقدّم فيها أناشيد تمجّد النبي ﷺ وتمزج بين الإيقاعات المحلية والتعبير الديني.

كما تشهد المناسبة إقامة وحدات احتفالية خاصة، يُطلق عليها محلياً "المولد"، وتتميّز بطابعها الجماعي والتنظيمي، حيث يجتمع السكان في شكل حلقات، يتلون فيها النصوص الدينية ويتبادلون التهاني والدعوات بالبركة والخير.

تُعبّر هذه الطقوس مجتمعة عن روح الانتماء الديني والثقافي لدى زواج الجزائر، وتُظهر كيف تتصهر الهوية الإفريقية في بوتقة الاحتفال الإسلامي، فتمنحه طابعاً خاصاً يجمع بين التدين الصوفي والتقاليد الشعبية الأصيلة.

ثالثاً: الاحتفال بعاشوراء

تُعدّ مناسبة "عاشوراء" واحدة من أبرز المناسبات الدينية التي يحييها زواج الجزائر، لاسيما في مناطق الجنوب الصحراوي حيث تقطن مجموعات عرقية تنتمي إلى أصول زنجية، وتحديداً في قصر تنزمت الذي يمثل نموذجاً غنياً للطقوس الدينية والثقافية الموروثة.

تبدأ طقوس عاشوراء في قصر تنزمت منذ اليوم التاسع من محرم، المعروف محلياً بـ"تاسوعاء"، حيث يغتسل السكان بماء العين في الصباح الباكر، في طقس يُسمى "تنزيمو"،

¹عز الدين الجعفري، المرجع السابق، ص 109

إيماناً منهم بأن هذا الماء يحمل بركة خاصة لكونه متصللاً رمزياً بماء زمزم. يُستخدم هذا الماء أيضاً لرشّ أمكنة تربية المواشي والدواجن¹.

في يوم عاشوراء، تُقام طقوس "التامغيث"، وهي حناء مبللة تُستخدم بشكل جماعي من طرف أفراد العائلة، تُوضع من الذقن حتى أسفل الرأس مردّدين: «تامغيث تامغيث العقوبة لعام الجاي»، ثم يُعاد تمريرها بالعكس. كما تُحنّى بعض الحيوانات الأليفة كالماعز والضأن والدجاج والطيوس والقطط والكلاب، اعتقاداً بأن ذلك يجلب البركة ويحفظها من الأذى.

من الطقوس البارزة أيضاً الاحتفاظ بـ"طابق" من لحم الأضحية، وتحديدًا الرجل الخلفية اليمنى التي تُملح وتُجفف لتصبح "قديداً" يُطهى في عاشوراء، في طقس يقول فيه السكان: «لالة عاشوراء راني ضحيت والطابق راني دسيتو، ودرنا البخور»²، وتتخلل هذا الطقس الزغاريد واستعمال البخور لطرد الأرواح الشريرة والشياطين.

أما في الليل، فتُمارس ألعاب جماعية مثل "الشايب عاشورا"، حيث يتتكر أحدهم بلباس كبير ويلون وجهه بالفحم لتخويف الأطفال. كما تُمارس ألعاب أخرى تُحاكي المهن التقليدية مثل "التاجر" و"المزارع"، حيث يقلّد كل شخص مهنة معينة بطريقة ساخرة.

من الألعاب المميزة أيضاً لعبة "البعير"، وهو هيكل من جريد النخل يُغطى بقماش أسود أو بني ويمثّل بعيراً يُستخدم لتخويف الأطفال. وهناك كذلك لعبة "العقرب"، حيث تُستخدم عقرب حقيقية تُعرض أمام أبواب المنازل في مشهد تمثيلي يهدف لطلب يد فتاة، ويشترط والدها مهراً، وإن لم يُقبل يُهدّد بـ"بلدعة العقرب".

¹ مريم لام-محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر "تمنرت" (ولاية الوادي): بين الاستمرارية والتغير، إنسانيات عدد 59، جانفي - مارس 2013، ص 41

² بمعنى يشهدون يوم عاشوراء بقيامهم بالأضحية، وذلك بترك الجانب الأيمن من أضحية كبش العيد إلى يوم الاحتفال بيوم عاشوراء، وكذا استعمال البخور وزغردة النسوة فرحاً بهذا اليوم.

ثانياً: اللباس التقليدي

يُعدّ اللباس التقليدي من أهم مكونات الهوية الثقافية لدى زوج الجزائر، وخاصة في المناطق الجنوبية، حيث تُجسّد الجماعات الزنجية، وعلى رأسها الطوارق، تميزاً حضارياً واضحاً في طريقة اللباس، التي تعكس أصالتهم وانتماءهم الإفريقي.

1- اللباس عند رجال زوج الجزائر

الطوارق، الذين يُعتبرون من أبرز الجماعات الزنجية في الجنوب الجزائري (وخاصة في تمنراست، إليزي، وأدرار)، يتميزون بلباس تقليدي فريد، يعبر عن انتماء إفريقي-صحراوي عريق، ويتمثل في:

1. القميص الفضايف (الملحف أو الدراعة): يُخاط من القطن الأبيض أو الأزرق النيلي، ويُفصل بطريقة واسعة تناسب البيئة الحارة. هذا النمط من اللباس يُعبر عن البعد الإفريقي في الذوق والعملية، ويُشابهه في كثير من ملامحه ما نجده عند جماعات زنجية أخرى في إفريقيا جنوب الصحراء.

العمامة: تُعدّ العمامة الرجالية، المعروفة في بعض المناطق الصحراوية الجزائرية بأسماء مثل "الشاش" أو "الحواق"، جزءاً جوهرياً من اللباس التقليدي لدى زوج الجنوب، لا سيما في أوساط الطوارق، الذين يُشكلون أحد أبرز التجمعات الزنجية في الجزائر. وتتكوّن هذه العمامة من قطعة قماش مستطيلة الشكل، يصل طولها في بعض الأحيان إلى خمسة أمتار، وعرضها إلى متر ونصف،¹ وتلبس بطرائق دقيقة تعبّر عن الانتماء والهوية.

¹ جعفري عز الدين، شعيب مقنونيف، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018، ص 341-342

يفضّل الطوارق غالبًا اللون الأبيض لهذه العمامة، لما له من دور فعّال في عكس أشعة الشمس الحارقة وتخفيف وطأة المناخ الصحراوي القاسي،¹ غير أن اللون النيلي يظل الأكثر شهرة وتمييزًا، خاصة في اللباس التقليدي الخاص بالرجال، حيث يُصبغ القماش الطبيعي بصبغة زرقاء داكنة تترك أثرًا على البشرة، في ما يُعرف بـ"رجال الجلد الأزرق"، وهو سمة مرتبطة بالهوية الزنجية الإفريقية.

تتخذ العمامة في مجتمع الطوارق مكانة رمزية عالية، إذ يُطلقون على أنفسهم "إيماجغن تاغلموست" أي "أصحاب الغطاء"،² في إشارة إلى التميّز الثقافي والاجتماعي عبر هذا اللباس. تُصنع العمامة من قطعة واحدة من النسيج القطني، يتراوح طولها بين متر ونصف وسبعة أمتار، وعرضها بين نصف متر إلى متر، وتُلف بطريقة تُخفي ملامح الوجه باستثناء العينين، بحيث تغطي الرأس وتنزل إلى الأكتاف، ويُراعى في لفّها وضبطها معايير دقيقة تُكتسب بالتعلّم والخبرة مثل شاش توكيرلموست. (انظر الملحق رقم 05)

إضافة إلى وظيفتها الوقائية من العوامل الطبيعية (الشمس، الغبار، الرياح)، تؤدي العمامة دورًا اجتماعيًا في تحديد مكانة الفرد، إذ يُخصص لكل لون أو نمط لفّ طائفة معينة،³ ولكل حجم أو طول مجموعة اجتماعية مميزة. ويُعدّ خلع العمامة أمام الغرباء أو الكبار أمرًا غير لائق في العُرف الطارقي، مما يُبرز بعدها الرمزي في احترام الأعراف والتراتبية الاجتماعية.

وبهذا، فإن العمامة الرجالية عند الطوارق لا تُمثل مجرد قطعة لباس، بل هي عنصر مكوّن للهوية الزنجية الجزائرية، يتشابه فيه البعد الجغرافي بالموروث الثقافي، ويعكس تمسك

¹ خيزر جميلة، دحماني سليمان، التنوع الثقافي في الجزائر من خلال الأزياء التقليدية: مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية لمجموعة متحفية تابعة للمركز التفسيري للباس التقليدي، مجلة معالم، المجلد 13، العدد الخاص، السنة 2021، ص 209.

² المرجع نفسه.

³ عز الدين جعفري، شعيب مقنونيف، المرجع السابق، ص 341.

زواج الجزائر بإرثهم الإفريقي الصحراوي في مظهرهم اليومي ومناسباتهم الخاصة على حد سواء.

2. اللثام (تاغلموست) يُعتبر اللثام عند الطوارق الزنوج رمزًا للرجولة والهيبة، ويتجاوز كونه وسيلة للحماية من الرمال والشمس. لونه النيلي الذي يترك أثرًا على البشرة يُعد علامة فارقة للطوارق ويُبرز لون البشرة الزنجية، مما يُشكل تماهياً بين اللباس ولون الهوية.

- يرتديه الذكور منذ البلوغ، ولا يُفارقونه حتى في الموت¹.

- يُغطّى به الوجه عدا العينين، في إشارة إلى الحياء والوقار.

- في المجتمع الطارقي الزنجي، من غير المقبول اجتماعياً أن يظهر الرجل وجهه لكبار السن أو الغرباء دون لثام.

فاللثام التقليدي يعد مظهرًا من مظاهر الهوية لدى الرجل التارقي المتأثر بالتغير الاجتماعي والثقافي بل حافظ على شكله ووظيفته التقليدية، يستعمل في أغلب المناطق التي يتواجد بها الإنسان التارقي في الصحراء الكبرى، ما بين حدود (جمهورية مالي الشمالية الغربية مع موريتانيا إلى حدود السودان مرورًا بشمال مالي و شمال النيجر و شمال تشاد وجنوب غربي ليبيا وجنوب شرقي الجزائر)،² حيث صار طقسًا من طقوس الهوية التراثية الجزائرية والإفريقية على حد سواء.

العنصر	العمامة	اللثام
التعريف	قطعة قماش طويلة تُلف حول الرأس	جزء من القماش يُستخدم لتغطية الوجه (غالبًا)

¹المرجع نفسه.

²محمد سعيد القشاط، الطوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ط2، 1989، ص 22.

الشم والآنف والذقن)		
الحماية من الغبار + ستر الوجه لأسباب دينية وثقافية	الحماية من الشمس + الزينة + التمييز الاجتماعي	الوظيفة الأساسية
يُعتبر اللثام جزءًا من العمامة أو امتدادًا لها	يُدمجون بينهما في قطعة واحدة تُسمى "تَغْلُمُوسْت (Tagelmust)"	الطوارق (زواج الجزائر)
تغطية الوجه أمر واجب عند الرجال في تقاليد الطوارق، لكنه غير مطلوب من النساء	لَفَّها يختلف حسب الوضع الاجتماعي والطائفة	الاستعمال

3. السروال الفضفاض: يُخاط بطريقة واسعة ومريحة باللون الأسود و الأزرق مصنوعة

من القطن و تنزل حتى الركبة،¹ تُناسب حركية العيش في الصحراء، وتُسهل التنقل وركوب الإبل، وهي سمة شائعة في لباس الكثير من الشعوب الزنجية في شمال وغرب إفريقيا.

¹إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص 116.

2- اللباس عند النساء من زنج الجزائر

يتميز اللباس التقليدي للمرأة الزنجية في الجزائر، خاصة في مناطق الجنوب الكبير كتوات، أدرار، تمنراست، وتيميمون، بتنوعه وارتباطه العميق بالبيئة الصحراوية والموروث الثقافي الإسلامي والإفريقي، فهو يعكس تقاليد راسخة وهوية متميزة، سواء من حيث شكل اللباس، أو ألوانه، أو رمزيته. (انظر الملحق رقم 06)

1-الحرملة:

تُعد الحرملة من أبرز أغطية الرأس التي تميز نساء زنج الجنوب الجزائري، خصوصاً في منطقة توات. وهي كساء صغير وواسع يُحيط بالعنق ويغطي الرأس، ويتدلى على الكتفين، وتُصنع بألوان متعددة. تُحرص المرأة هنا - ذات الأصول الزنجية أو المختلطة - على ارتدائه كجزء من التقاليد الراسخة في القصور والقرى، حيث يُعتبر كشف الرأس خرقاً للدين والعرف المحلي، في مقابل التغييرات التي طرأت على اللباس في المدينة نتيجة الاختلاط والاحتكاك بثقافات دخيلة.

تتنوع الحرملة في أشكالها وألوانها بحسب الفصول والغاية المرجوة منها: منها ما يُستعمل في الصيف لحماية الرأس من الحرارة، ومنها ما يُلبس شتاءً لدرء البرد. ويختلف نوع القماش وحجمه حسب الحاجة والمكانة الاجتماعية.

2- غطاء الجسد:

تحرص المرأة الزنجية الصحراوية على استعمال غطاء شامل للجسم، تلبيةً لأحكام الشريعة، وحمايةً من ظروف المناخ الصحراوي القاسي، ولأسباب اقتصادية أيضاً، إذ أن هذه الأغطية أقل تكلفة من اللباس المفصل. وتتنوع هذه الأغطية بين ما يغطي كامل الجسد

¹ الجاحظ، المعجم الوسيط، مؤسسة ثقافية للتأليف و الطباعة و النشر و التوزيع، تركيا، 1989م، ج2، ص 169.

والرأس، وما يقتصر على الجسد فقط، مع اختلاف في طريقة اللف والتنثيت، باستخدام مشابك وأدوات تقليدية تُعطي للزّي طابعًا خاصًا.

3-الإزار والحايك:

يُعتبر الإزار من أقدم ألبسة المرأة الزنجية، وهو قطعة قماش تُلف حول الجسد لتغطيته بالكامل. ونجده عند البربر والزنوج في الجنوب الجزائري بلون أزرق غالبًا،¹ يعكس الطابع الإفريقي الإسلامي. أما الحايك، فهو تسمية منتشرة في العالم المغاربي، ويُستعمل بنفس الطريقة، ويختلف في المادة المستعملة (صوف، كتان، حرير) بحسب الفصول والمستوى الاجتماعي. وعادةً ما يكون أبيض اللون، بطول ثلاثة أمتار،² يغطي كامل الجسد باستثناء العينين.

يتكوّن اللباس التقليدي للمرأة الزنجية في الجنوب من عدة قطع مميزة، نذكر من أهمها³:

• **إِسْوِي**: عباءة فضفاضة تُلبس فوق فستان من قماش "الشلاكي"، تصنع من الحرير، الحنّيت، الصوف، وكانت رمزًا للبخ عند نساء النبلاء.

• **أُخْبَاي**: عباءة واسعة بلون أزرق، أخضر أو أبيض، مخصصة للمرأة المتزوجة، تُخاط بطريقة مميزة بعد تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء.

• **تَسْغَسْت**: أشهر لباس نسائي لدى الطوارق، وتلبسه النساء الزنجيات في المناسبات الكبرى. قطعة فاخرة يبلغ طولها 15 مترًا، تُلف حول الجسد والرأس بالكامل. أما في الأيام العادية فنُستعمل خامات أقل تكلفة.

¹نصر الثريا، تاريخ أزياء الشعوب، القاهرة، ط، 1998م، ص385.

²جعفري عز الدين، المرجع السابق، ص345

³فيروز بن رمضان، العادات والتقاليد لدى طوارق الجنوب الجزائري الكبير الأزياء والحلي التقليدية أنموذجًا، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 06، العدد 01، ص521-522

• **آفَر**: قماش أسود يُوضع فوق "إرسووي"، يغطي الرأس وأجزاء من الجسم، يختلف قماشه بحسب المناسبات.

• **أَغْرَهِي**: قطعة قماش من النيلة أو الطاري، تلبس فوق الرأس في المناسبات، ويتراوح طولها مترين.

• **شَرْبِيَت**: وشاح يُستعمل يوميًا، ويُصنع من قماش الترفال أو الشلاكي.

• **أَلْحُولِي (أَخَاوَلِين)**: قماش مطرز يُلبس على الظهر، مصنوع غالبًا من قماش الكاري.

• **بَازَان**: عباءة ضيقة مطرزة على مستوى الرقبة والصدر، تصنع من قماش "الديمي"، وتلبس معها "خراط" طويلة من قماش النيلة، وتأتي عادةً بألوان الأزرق، البني أو العنابي¹.

3- الحلي التقليدية لزوج الجزائر

تُعد الصناعات التقليدية من أبرز ظواهر التعبير الشعبي لدى المجتمعات الزنجية في الجزائر، حيث تمثل جزءًا مهمًا من الحياة الثقافية والمادية، وخصوصًا في الجنوب الجزائري، حيث يعيش الطوارق كجزء أساسي من هذه الفئة. وقد مارس الإنسان الزنجي الجزائري هذه الصناعات كحرف متوارثة نابعة من مهاراته الفنية وقدراته الإبداعية، فاستغل خامات بيئته بأسلوب ذكي ومبتكر، وصنع أدوات وتقنيات أتاحت له إنتاج حلي وإكسسوارات فضية دقيقة وصغيرة الحجم، مزينة بزخارف هندسية فريدة. (انظر الملحق رقم 07)

ويطلق على الحرفيين الذين يمارسون هذه الصناعة في المجتمعات التارقية اسم "إِنْيَضَن" (الحدادون)، وهم المسؤولون عن إنتاج هذه الزينة التي تتجلى فيها عبقرية الصناعة اليدوية².

¹ فيروز بن رمضان، المرجع السابق، ص522

² فيروز بن رمضان، المرجع السابق ص522

يمكن تصنيف الحلي التقليدية الزنجية في الجزائر إلى مجموعتين رئيسيتين:

• مجموعة جبال الصحراء الوسطى (الهقار، تاسيلي ناجر): وتتميز بحلي الطوارق

التي تصنع بتقنيات القولية والحزّ والدمغ.

• مجموعة مناطق الواحات (القرارة، توات، تيديكلت): وهي أقرب من حيث الطراز إلى

الحلي الموريتانية والمغربية، وتُزخرف باستخدام تقنيات الحزّ النافر والزخارف الشبكية والوشي.

ومن بين الحلي التي تتفرد بها المرأة الزنجية في الجنوب الجزائري، خاصة في

المجتمع التارقي، نجد¹:

• تيزراوت (تيزروت): قلادة تقليدية تُعلّق على الصدر وتتكون من ستة مثلثات، وترتدى

في المناسبات. لها نوعان:

- تيزاوت نتانشانات: ثلاث مثلثات متتالية تُعلّق على الشعر فوق الأذن، وتمثل رموزاً

للحماية من الأرواح الشريرة وعناصر الطبيعة (الماء، النار، الهواء).

- تيزاوت وان أزرف: حلقة مستطيلة من الفضة أو النحاس، تُعلّق على الشعر

وتُستخدم كتميمة واقية.

• أهبيق (أحبّق): أساور فضية تُرتدى من قبل النساء المتزوجات فقط، مزخرفة بزخارف

تقليدية.

• إفاقن: سوار يشبه سوار "تيوكاون" المصنوع من الحجر، ويُستخدم لأغراض رمزية

وتزيينية.

¹وسيلة تامزالي، أزياء وحلي نساء الجزائر، ألفا الجزائر، دط، 2007، ص 120-128

- **تَبْرِزَاتَيْن (أَحْبِيقَانُ أُوْدَنَّ)**: قرط مسطح كبير يُشد إلى الضفائر بدلاً من أن يوضع في الأذن، ويُزِين برسومات دقيقة محفورة.
- **تَمْرِيَاتَيْن**: أقراط فضية دائرية أو هلالية أو على شكل دمعة، وتُزخرف بالدمغ.
- **أَنْسَاوَرُ وَانْ أَسْوَيْلُ**: مفتاح خمار يُعلَق على "أسويل"، يُصنع من النحاس وكان يستخدم لغلق الخمار وثقله يساعد في تثبيته أثناء العواصف.
- **خُومِيَسَة**: قلادة مكونة من خمس معينات تنحدر من مثلث كبير، وتُعلَق بخيط جلدي. تُزِين بالحزّ والحبيبات وتُستخدم للحماية من العين والسحر.
- **الخواتم**: مصنوعة من الفضة، وتُلبس من قبل الرجال والنساء، وتتنوع أشكالها بين المخروطية والمحدبة والمتقبة، وتشهد تطوراً مع مرور الزمن¹.

¹وسيلة تامزالي، المرجع السابق، ص 120-128

ثالثاً : الموسيقى والرقص

تُعد الموسيقى والرقص من أبرز أشكال التعبير الثقافي لدى زنوج الجزائر، حيث حملوا معهم إرثاً فنياً غنياً تأثر بالبيئة الإفريقية الأصلية، ثم تمازج مع الموروث المحلي الجزائري. وقد كانت هذه الفنون تؤدي في المناسبات الاجتماعية والدينية، وتستخدم كوسيلة للفرح والتسلية وأحياناً للتعبير عن الألم والمعاناة. وامتاز الزنوج بأسلوب خاص في الإيقاع والحركات الجسدية، ما جعل رقصاتهم وموسيقاهم محط أنظار الرحّالة والزائرين للمدن الجزائرية في فترات مختلفة من التاريخ.

1) الأنماط الموسيقية الخاصة

أولاً: موسيقى الفونودو كتعبير عن الهوية الزنجية في الجزائر:¹

تُعد موسيقى الفونودو إحدى أبرز التقاليد الفنية التي تعكس العمق الثقافي لزنوج الجنوب الجزائري، لاسيما في منطقة الساورة، حيث نشأت وترعرعت هذه الموسيقى منذ سبعينيات القرن الماضي على يد الفنان الجزائري عبد العزيز عبد الله، المعروف بلقب "علّة الفونودو". وكلمة "فونودو" تعني "العمق"، وهي تجسيد لحالة وجدانية وروحية يعيشها الفرد الزنجي في الجنوب، بما تحمله من آلام وآمال وحنين إلى الجذور الإفريقية.

تعتمد موسيقى الفونودو على آلة العود التي يلقبها سكان الجنوب بـ"ملكة الآلات"، وتستخدم لترسيخ الطقوس والممارسات الثقافية لهذا النمط الموسيقي العريق، الذي يعبر عن الذات الإفريقية بموسيقى حرة لكنها مقيدة بالإيقاع، ما يمنحها طابعاً صوفياً عميقاً يتجاوز حدود الأداء الفني ليصل إلى حالات من التأمل والصفاء الذهني.

¹كامل الشيرازي، موسيقى "الفونودو" .. روح جنوب الجزائر، إيلاف المغرب مدونات إيلاف، العدد 8756 الأربعاء 16 أبريل 2025، آخر تحديث : الجمعة 20 يونيو 2008،

ويذهب باحثون أمثال عثمان دلباني إلى القول إنّ الفونديو يمثل تمازجاً غنياً بين مختلف التيارات الموسيقية التي عرفتها منطقة الجنوب، خاصة مع التنوع العرقي الكبير (زنوج، بربر، عرب، يهود)، ما أكسب هذا الفن طابعاً فريداً يعكس الهوية الزنجية المتفاعلة مع محيطها. فقد استوعب الفونديو تأثيرات موسيقية متعددة من إفريقيا، والعالم العربي، إلى أنماط عالمية مثل الجاز وموسيقى الهول، مما جعله يعكس روح الزنجي الجزائري الذي عاش دائماً في تلاقح مع الآخر.

ومع تزايد شعبية هذا النمط الموسيقي، خاصة بين شباب الجنوب، أضحت الفونديو يشكّل نوعاً من التعبير الروحي الذي يُشبه "التخدير الوجداني"، ما دفع السلطات في بعض الأحيان إلى منعه داخل الحافلات والسيارات، خاصة في فترات الليل، نظراً لقوته العاطفية وشدة تأثيره على المستمع.

ورغم الشهرة التي نالها الفونديو عالمياً من خلال جولات "علّة"، إلا أنه لا يزال محدود الانتشار على المستوى المحلي، حيث بقي حبيس مناطق الجنوب وبعض جهات الغرب الجزائري. ومع ذلك، يعمل رواد هذا الفن على تنظيم مهرجانات وتظاهرات ثقافية للمحافظة على هذا التراث الزنجي، ولتشجيع الأجيال الجديدة على تبنيّه، وهو ما مكن من تأطير عشرات الشباب من مختلف ولايات الجزائر في السنوات الأخيرة، في خطوة تهدف إلى إحياء هذا الموروث الثقافي الزنجي وحمايته من الاندثار.

ثانياً: موسيقى القناوي: إيقاع الروح والهوية عند زنوج الجزائر

تُعد موسيقى القناوي من أبرز الفنون الموسيقية التي تجسّد البعد الروحي والثقافي لزنوج الجنوب الجزائري، خاصة في منطقة الساورة. وهي موسيقى فلكلورية ذات طابع شعبي

تقليدي،¹ ترتبط بطقوس غارقة في الرمزية، وتتداخل فيها النغمات مع الروحانيات لتكوّن تجربة وجدانية فريدة.

يُطلق عليها أحياناً "أنغام القناوي"، وتُعزف خلال سهرات تُعرف بـ"المحلة"، حيث يتولى "المعلم" قيادة الطقس الموسيقي، مستخدماً آلة القمبيري، وهي آلة وترية تقليدية مرتبطة بشكل وثيق بالثقافة الزنجية الإفريقية. ويصاحب العزف تصاعد البخور وضرب الكرابيج، في جوّ روحاني تتماهى فيه الأجساد مع الإيقاع، فيرقص المشاركون حتى الإرهاق، وكأنهم في طقس تطهيري يحرر الروح من آلامها.

وتعبّر هذه الموسيقى عن حالة وجدانية عميقة، حيث يدخل العازف والمشاركون في حالة من النشوة والتماهي مع أنغام القمبيري. وتظهر هذه الطقوس بشكل جليّ في بعض الأعمال الأدبية التي حاولت تصوير هذه الأجواء، فنجد في إحدى الروايات قول السارد: "سهرة القناوي كانت رائعة، المعلم بلال فتح المحلة... هو يعزف جيداً، كم أعشق أنغام القناوي... يغمض عينيه في حالة نشوة غير مفهومة لجسد تعذّبه البويلات، لكننا نجد لذة لآلام تحسّسها أرواحنا المتعيّة"...²، في إشارة إلى العمق الروحي لهذه الموسيقى.

وترمز رقصة القناوي إلى نوع من التحرر الوجداني، حيث تتماسك الأيدي وتتحرك الأجساد المنقلة بالأحلام والآلام في تناغم مع الإيقاع، حتى تخرّ القوى، ويعمّ السكون والانعتاق. وتُعدّ هذه الطقوس شكلاً من أشكال العلاج الروحي والتعبير الثقافي العميق، الذي لا يزال يُمارس حتى اليوم في بعض مناطق الجنوب الجزائري، ويُعتبر جزءاً لا يتجزأ من التراث الزنجي المحلي.

¹بوعافية أحمد، توظيف تراث إقليم الساورة بصحراء الجزائر في الرواية الجزائرية المعاصرة قراءة تطبيقية تحليلية في

رواية "الخابية" لجميلة طلباوي أنموذجاً، مجلة آفاق علمية، المجلد: 11 العدد: 03 ، 2019، ص411

²جميلة طلباوي، الخابية (رواية)، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال النشر و الإشهار، الجزائر ، 2014 ، ص12

2) الرقص عند الزنوج في الجزائر

أولاً: رقصة البارود

تُعد رقصة البارود من أبرز الرقصات التقليدية لدى زنوج الجنوب الجزائري، خاصة بمنطقة توات بولاية أدرار، وهي رقصة فلكلورية عريقة تمثل مزيجاً بين الفروسية والروح النضالية.

يرتبط هذا الفن الشعبي بتاريخ المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، ويُمارس حصرياً من قبل الرجال القادرين على حمل "المكحلة"، وهو نوع تقليدي من بنادق البارود في المغرب العربي.

تشكل الرقصة حلقة دائرية كبيرة، حيث يتحرك الراقصون بتنظيم دقيق من اليمين إلى اليسار على وقع الأهازيج وضرب البارود، مرتدين أزياء تقليدية موحدة تختلف ألوانها حسب كل منطقة.

ويُحضر البارود التقليدي عبر طريقة خاصة باستخدام نبتة محلية تُعرف بـ"الكرنكة"، التي يتم حرقها ومزج رمادها مع ملح البارود والكبريت للحصول على مادة قوية للعرض.

يتراوح عدد المشاركين عادةً بين 30 إلى 70 رجلاً،¹ يتناغمون مع الفرقة الموسيقية المرافقة التي تعتمد على آلات تقليدية مثل:

- الفلال (الخلاف): طبل مصنوع من الطين والجلد.

- الرباع: طبل جلدي متوسط الحجم.

- النفايق: طبل صغير مكمل للإيقاعات.

- آلات إضافية مثل المزمار وآلة القرقابو المعدنية.

¹فطيمة الزهراء حوتية، الفلكلور حافظ الذاكرة الشعبية في منطقة توات-الرقصات والإيقاعات الشعبية نموذجاً، مجلة

روافد للبحوث و الدراسات، العدد الرابع (جوان 2018 م)، ص51

ترمز رقصة البارود إلى الفحولة والشجاعة والانتصار، وكانت تؤدي في احتفالات المقاومة الشعبية بعد الانتصارات على الاستعمار.

فهي ليست مجرد رقصة احتفالية بل تعبير قوي عن الروح القتالية والكرامة لدى زوج الجزائر، وتبقى حتى اليوم إرثاً يتناقله الأبناء عن الآباء بكل فخر واعتزاز.

ثانياً: رقص الديوان (الغناوي)

تُعتبر رقصة الديوان أو ما يعرف برقص الغناوي من أبرز الرقصات التي تعكس البعد الإفريقي في الثقافة الجزائرية، خاصةً لدى زوج الجنوب.

تُصاحب هذه الرقصة موسيقى مميزة تعتمد على الدف الذي يُضرب عليه بعود خاص يُسمى "تقيقة"، بالإضافة إلى آلة القرقابو المعدنية. تتخلل الرقصة أغانٍ ذات إيقاع إفريقي عميق، تُردد بروح صادقة يغلب عليها الطابع الروحي والوجداني، حيث يُعتقد أن هذه الرقصة لها جذور تاريخية تعود إلى رقصات الأحباش في ساحة المسجد النبوي الشريف، وهو ما يضيف عليها طابعاً مقدساً وتبركياً.

ينتمي معظم ممارسي هذه الرقصة إلى طبقات فقيرة وبسيطة، مما يضيف على أدائهم صدقاً وإخلاصاً ملحوظين في الدعاء والإنتشاد¹.

ويُنظر إلى الجسد في هذا الطقس كخزان رمزي تتبلور عبره تعبيرات الذات الإنسانية، من خلال حركات وإشارات مشحونة بالدلالات التاريخية والثقافية.

تنقسم رقصة الديوان إلى مرحلتين أساسيتين:

• **المرحلة الدنيوية:** تُخصص فيها الحركات الراقصة لعامة الجمهور، حيث يستعرض الراقصون مشاهد ديناميكية من خلال رقصات مثل "برما سلطان"، "بانكرا"، و"كويو" **،

¹المجيد قدي، صفحات من تاريخ منطقة أولف، أبحاث، الجزائر، ط 2، 2007، ص 231-232.

التي تحكي مأساة العبودية بأشكال جسدية معبرة. يتحرك الراقص مقيد الساقين تارة إلى الأمام وتارة إلى الخلف، مع إشارات بالرأس واليدين والساقين، معبراً عن جذوره العميقة وعن رحلته الرمزية بين الأرض والسما، في تتاعم مع ضوء الشموع ودخان البخور.

• **مرحلة الجذبة:** وهي لحظة الاندماج الكامل، حيث يدخل الراقصون في حالات انهيارية تحرر الجسد من كل رقابة عقلية. هنا، يُستدعى ملوك الجن وفق نظام صارم بالألوان والأسماء، وتتحول الرقصة إلى طقس تطهيري جماعي¹.

• تسمح حركات الرأس والقدمين بعودة روح الغناوي إلى أرض الأجداد، معبرة عن الحنين إلى الجذور والانفصال عن قيود الواقع.

بعكس الرقصات الفنية المنظمة مثل رقصات الباليه، لا تسعى رقصة الديوان إلى الجمال الشكلي، بل تهدف إلى إطلاق العنان للجسد كي يتجاوز ذاته عبر طقس غنائي راقص يشكل أحد أعمدة الهوية الثقافية لزنوج الجزائر

خلاصة الفصل :

يتناول هذا الفصل العادات والتقاليد التي تمثل جزءاً أساسياً من الهوية الثقافية لزنوج الجزائر. وقد تم تسليط الضوء على مجموعة من المظاهر الاجتماعية و التي نشأت نتيجة للتداخل بين الثقافات الإفريقية والعربية والإسلامية. بدأ الفصل بتناول العادات المرتبطة بدورة الحياة والتقاليد اليومية كوسيلة للتعبير الثقافي والاجتماعي، والأكلات الشعبية حيث يبرز دورها في المناسبات والاحتفالات المختلفة.

¹ عبد القادر معمري، سيميائيات الجسد في طقوس كناوة: بحث في الهوية والانتماء، موقع أنفاس، 2010.

كما تناول الفصل اللباس التقليدي الذي يعكس تأثيرات بيئية واجتماعية، مُظهرًا الخصوصية الثقافية التي تميزهم. وأخيرًا، تم التركيز على العادات الاجتماعية التي تشمل التقاليد المرتبطة بالحلي التقليدي في المناسبات العائلية، والاحتفالات الدينية، مما يعكس الترابط القوي بين أفراد المجتمع والزمن التقليدي الذي حافظوا عليه عبر الأجيال.

الفصل الرابع: تأثير زواج الجزائري في الثقافة الوطنية

تمهيد

ما يميز الزوج أن حضورهم الثقافي والاجتماعي والسياسي في النسيج الوطني الجزائري لا يمكن إنكاره. فقد ساهموا في إثراء الثقافة الوطنية من خلال أشكال تعبيرية متعددة، أبرزها الموسيقى والرقص الشعبي الطقسي المعروف بـ"الديوان"، إلى جانب ممارسات اجتماعية وثقافية تعكس موروثهم الإفريقي العميق.

كما أن دورهم لم يقتصر على الجانب الثقافي، بل امتد إلى المجال الاجتماعي والسياسي، حيث انخرط العديد منهم في الثورة التحريرية، وشاركوا في بناء الدولة الجزائرية المستقلة

ينقسم هذا الفصل إلى عنصرين أساسيين ؛ يتناول الأول منها المساهمة الفنية والموسيقية لزوج الجزائري، ويبرز الثاني أدوارهم الاجتماعية والسياسية عبر محطات تاريخية مختلفة.

أولاً: المساهمة في الفنون والموسيقى

لطالما مثلت الموسيقى والرقص التعبيري لدى زواج الجزائر أحد أبرز أوجه الحضور الثقافي داخل المشهد الوطني، إذ لم تكن هذه الممارسات الفنية مجرد وسائل ترفيه، بل كانت امتداداً للذاكرة الجماعية ومجالاً للتعبير عن الهوية والتاريخ المشترك.

1) الفرق الموسيقية الزنجية في الجزائر وامتداداتها الدينية والاجتماعية

تُعد الفرق الموسيقية الزنجية المنتشرة في الجزائر، خصوصاً في مناطق الجنوب الغربي، من أبرز مظاهر الموروث الثقافي الإفريقي في البلاد. وتتوزع هذه الفرق ضمن تشكيلات طائفية مرتبطة بأسماء أولياء صالحين ذوي رمزية روحية كبيرة، من بينهم "مولاي الطيب"، "ابا بحر"، "ابا سالم"، و"سيدي بلال". ويشكل أفراد هذه الفرق نسيجاً اجتماعياً متنوعاً يضم الرجال والنساء على حد سواء، غالبيتهم من أصول زنجية، ويخضع بعضهم لنظام داخلي يستند إلى قوانين شرعية وضعتها الجمعيات المؤطرة لهذه الفرق.

وتمتد هذه الجماعات إلى مناطق متعددة من الجزائر، مثل "الحشاشنة"، "بتوقرت"، و"الحراطنة" في الجنوب الغربي، و"أولاد بابا مرزوق" في منطقة الوادي، و"أولاد سيدي بلال" في الشمال الغربي. كما ترتبط هذه الطوائف بعلاقات روحية مع زوايا وشخصيات دينية عبر الوطن المغاربي، على غرار "سيدي مرزوق العجمي" بتونس،¹ والشيخ مؤسس الطريقة الشيخية الذي خصّ مجموعة من العبيد السود بقيادة زاويته، مما يبرز البعد الروحي والديني العميق لهذه التشكيلات الفنية.

¹ سليم خياط، صورة صلاح الهامش و موثيقات للعبادة ، محاضرة ضمن ملتقى بعنوان تصوف ، ثقافة ، موسيقى ، ط 3 ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ ، تمناست ، 2006 ، وزارة الثقافة ، ص

إنّ هذه الفرق لا تمثل فقط تجمعات موسيقية فلكلورية، بل تؤدي وظائف اجتماعية وثقافية ودينية تتجلى في إحياء المناسبات الروحية، وتنظيم الطقوس الاحتفالية، والمساهمة في الحفاظ على الذاكرة الجماعية للزواج في الجزائر.

2) فن الديوان ومكانته بين الإبداع المحلي والانتشار العالمي

يُعد فن الديوان من أبرز التعبيرات الفنية الزنجية في الجزائر، وهو مزيج من الموسيقى والرقص والغناء والطقوس ذات الطابع الصوفي والأسطوري. ويتمتع هذا الفن بمكانة رفيعة داخل الثقافة المحلية، كما يشكل حلقة وصل بين التقاليد الإفريقية والمغربية، ويجمع بين الأداء الجماعي، وتوظيف الآلات التقليدية كالكمبري، والطبول ذات الطابع الإفريقي الخالص.

وقد شهد فن الديوان تطورًا ملحوظًا، حيث تم تسجيل أول عمل له في الجزائر سنة 1975، ليتحول لاحقًا إلى ظاهرة فنية عالمية بعد أن تبنته فرق موسيقية معروفة، على غرار "قناة ديفيزيون"، وفرقة "حسنة البشارية"، وفرقة "قناة" التي قامت بجولات فنية خارج الوطن. كما نظمت مدينة بشار مهرجانًا سنويًا لفن الديوان،¹ تأكيدًا على أهميته كموروث ثقافي وطني، ووسيلة للتعريف بالثقافة الزنجية الجزائرية على الصعيد الدولي.

وقد ساعد التشابه الكبير بين إيقاعات فن الديوان ونمط "الجاز" و"البلوز" و"الريغي" في جعله مقبولًا لدى جمهور عالمي، لما يمتلكه من قابلية للتذوق الفني المشترك بين الثقافات. ويظهر هذا الانفتاح في المشاركة المتكررة لفرق "قناة" في مهرجان "الصورة" بالمغرب تحت شعار "قناة وموسيقى العالم"، حيث يلتقي فنانون هذا النمط مع موسيقيين عالميين مثل جيمي باج، روبرت بلانت، وراندي وستون، ما يؤكد على عالميته وقيّمته الجمالية².

¹ عثمان دلباني، الغناء في الصحراء الجزائرية، منتدى سماعي للطرب العربي الأصيل عدد بتاريخ 30-07-2007.

² Reda Allali; les gnaouas mettent le Maroc en transe ; courrier international ; article publié le 01-10-2003, 2003

3) الأبعاد الرمزية والطقسية لفن الديوان كأداء مسرحي شعبي

يمثل فن الديوان أحد أبرز أشكال التعبير الثقافي الشعبي الذي يجمع بين الطقس والمسرح، إذ يتجاوز كونه مجرد تظاهرة احتفالية إلى كونه أداءً درامياً يتضمن مختلف عناصر المسرح الكلاسيكي من تمثيل، وغناء، ورقص، وموسيقى، وأزياء، وإضاءة، وسينوغرافيا. فهو يحتفي بالذاكرة الجمعية، ويجسد أحداثاً دينية، وقصصاً أسطورية، وبطولات تاريخية، ضمن حبكة تتولد من التفاعل الجماعي والمشهدية الطقسية¹.

ويُعد هذا الفن الشعبي ضرباً من المسرح الطقسي الذي يعود جذوره إلى الاحتفالات الدينية القديمة، حيث تتمثل في عروضه معاني رمزية عميقة مرتبطة بالأسلاف والبطولة والمقدس، كما يُستدعى فيها الزمن الأسطوري، وتُعاد محاكاته كنوع من إعادة بعث الرموز الجماعية. فالراقصون يرتدون أقنعة وجلوداً حيوانية، ويجسدون أدوار الآلهة أو البشر، مما يُعيد إلى الأذهان البنية الأولى لنشوء المسرح في سياق الشعائر والطقوس المقدسة، وهو ما أشار إليه أرسطو في تعريفه للمسرح بوصفه احتفالاً جماعياً يجد جذوره في الحفل الديني ويجمع بين الواقعي والمتخيل، وبين العقل واللاشعور².

ويبرز في هذه الاحتفالية التقاطع بين الأداء الدرامي والتعبير الرمزي، فكل عنصر فيها يؤدي وظيفة رمزية: الألوان، الحركات، الرقصات، الإيقاعات، الأهازيج، اللباس التقليدي، جميعها توظف كرموز مكثفة ذات دلالة جماعية ترتبط بالهوية والانتماء والذاكرة. كما تُمنح الحلقة -بوصفها الفضاء المسرحي الأساسي - بعداً طقسياً خاصاً، حيث تُنصب في

¹ إيمان هلال، دراسة سوسيوأنثروبولوجية في الأبعاد الدلالية للأنساق الاحتفالية للموسيقى الديوان، مجلة آفاق علمية، المجلد: 11 العدد: 03 السنة 2019، ص482

² إدريس قرقوي، الطقوس والشعائر الاحتفالية في النص المسرحي الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014، ص 19

الساحات العامة والأسواق، ويتعلق فيها الجمهور حول المؤدين في علاقة تفاعلية يتبادل فيها الطرفان الأدوار والمشاعر، مما يجعل المتفرج عنصراً مشاركاً لا متلقياً سلبياً.¹

وتُظهر هذه البنية الطقسية وجود بعد أنثروبولوجي عميق في ممارسة الديوان، إذ ترتبط هذه الطقوس بمعتقدات الجماعة، وطقوس أسلافها، وتجسد حالة من التطهير الجماعي والتحول الرمزي، كما في مفهوم "Catharsis" الذي عبّر عنه أرسطو، أي ذلك التنفيس النفسي والعاطفي الذي يعيشه الأفراد عبر الحدث المسرحي الحي.

أما من الناحية الموسيقية، فيؤدي الإيقاع دوراً محورياً في تشكيل الشعور الجماعي، إذ أن القرقاب والطبول تُفعل الجسد والروح في آن واحد، وتُحرك الطاقات الحيوية الكامنة في وعي الجماعة، وتساهم في بناء "الزمن الرمزي" الذي ينقطع فيه الحاضر ويتصل بالماضي الأسطوري، فيتحول الأداء إلى "حدث" قائم بذاته.

وترى الإثنوموسيقولوجيا أن هذه الممارسات ليست فقط فناً أدائياً بل هي أيضاً وسيلة للتعبير عن الوجود الفردي والجماعي داخل البنية الثقافية والاجتماعية، حيث تُمارس الموسيقى كلغة موازية للغة الكلام، بل وأحياناً تتفوق عليها من حيث شدة التأثير والقدرة على استدعاء الرموز والطاقات الوجدانية.²

وعليه، فإن فن الديوان يُمثل تواصلاً بين الحاضر والماضي، ويُعيد إنتاج القيم الجمالية والاجتماعية، ويمنح المشاركين فيه شعوراً بالتماسك والانتماء، من خلال إعادة تمثيل لحظات الانتصار، والمعاناة، والفرح، والحكمة الجماعية. كما أن "الحلقة" التي تحتضن العرض، تصبح فضاءً للفرجة الشعبية، ومرآة للثقافة الجمعية، حيث يلتقي المقدس بالديني، والشفهي بالمكتوب، والأسطورة بالواقع، في مشهد درامي جامع.

¹ وليام رو، فيقيا نشلنج، الذاكرة والحدث، ترجمة منى برنس، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص 178.

² إيمان هلال، المرجع السابق، ص 484-485.

إن الأبعاد الرمزية والطقسية لفن الديوان لا يمكن فصلها عن السياق الاجتماعي والأنثروبولوجي الذي تنشأ فيه، فهي تترجم التصورات العميقة للجماعة حول الكون والوجود والمقدس، وتُعد بمثابة احتفال دوري بالهوية الجماعية وبالذاكرة الثقافية التي تتجدد عبر الزمن.

ثانياً: دور زواج الجزائر في المجتمع والسياسة

كان للزواج دور اجتماعي وسياسي في الجزائري بحيث تميزوا بأدوار ذات أبعاد دينية، اجتماعية، ونضالية. هذا العنصر يسلط الضوء على طبيعة هذا الحضور من خلال العناصر الآتية:

1) الحضور الاجتماعي والديني

تُعدّ الفئة الزنجية في الجنوب الجزائري مكوناً أساسياً من مكونات النسيج الاجتماعي، خاصة في ولايات مثل بشار، أدرار، تمنراست، عين صالح، وتيميمون، وهي فئة تعود أصولها في كثير من الأحيان إلى تجارة الرقيق القديمة والهجرات القادمة من دول الساحل الإفريقي كمالي والنيجر وتشاد. إلا أن وجودهم في الجزائر يمتد لقرون، وقد تمّ إدماجهم في المجتمعات الصحراوية تدريجياً، بحيث أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من البنية السكانية والدينية.

لقد لعب هؤلاء دوراً محورياً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فامتحنوا الزراعة، والرعي، والحرف التقليدية، خصوصاً الأعمال المرتبطة بالجلود والنسيج، كما انخرطوا بكثافة في الحياة الدينية، من خلال الانتماء إلى الطرق الصوفية مثل الطريقة القادرية والتيجانية،¹ حيث تولّى بعضهم وظائف في الزوايا كطلبة وعلماء ومؤذنين، ولهم أدوار مهمة في تنظيم المواسم الدينية والطقوس الروحية.

كما احتفظت بعض التجمعات الزنجية بعادات وتقاليد خاصة، تشكل جزءاً من الموروث الثقافي المحلي، مثل موسيقى الديوان التي تمزج بين الطابع الإفريقي والصوفي، وتُستخدم في طقوس روحية تحمل بُعداً دينياً واجتماعياً. وهكذا شكّل الزواج عنصراً فاعلاً في التفاعل بين الثقافة المحلية والروحية.

¹ حوتية محمد الصالح: توات والأزواد، ج 1، در الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 221

2) مشاركة الزنوج في الثورة التحريرية

رغم الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية التي عانت منها هذه الفئة قبل الاستقلال، فإن أبناءها لم يترددوا في الانخراط في صفوف الثورة التحريرية. فقد تم تسجيل مئات المناضلين من ذوي البشرة السوداء، خصوصاً في مناطق الجنوب،¹ حيث كان لهم دور مهم في الدعم اللوجستي ونقل السلاح والمؤن عبر الصحراء، لما يمتلكونه من خبرة واسعة في المسالك الصحراوية.²

كما شارك بعضهم في المعارك المباشرة ضد قوات الاستعمار الفرنسي، ومن بينهم شهداء ومناضلون لا تزال الذاكرة الشعبية تخلد أسماءهم، رغم غيابهم عن كتب التاريخ الرسمي.

لقد كانت مشاركتهم نابضة بالوطنية والاعتزاز بالانتماء، وقد سعوا إلى تحرير الوطن جنباً إلى جنب مع بقية أبناء الجزائر، دون أن تؤخذ خلفياتهم العرقية بعين الاعتبار في ساحة النضال. (انظر الملحق رقم 10)

إضافة إلى ذلك، لعبت القبائل الزنجية الرحل دوراً محورياً في التنسيق مع الثوار عبر الحدود الجنوبية، خصوصاً في التنقل بين الجزائر ودول الساحل.³

¹مقلاتي عبد الله وتواتي دحمان، البعد الإفريقي للثورة الجزائرية ودورها في تحرير إفريقيا، دار السبيل، الجزائر، 2009، ص 65

²مقلاتي عبد الله، نورم محفوظ، الجنبية الجنوبية الثالثة للهقار ودورها الاستراتيجي في الثورة الجزائرية، دار السبيل، الجزائر، 2009، ص 42.

³مقلاتي عبد الله، نورم محفوظ، المرجع السابق ص 68

كما ساهم بعضهم في أعمال التجسس، وجمع المعلومات عن تحركات العدو الفرنسي، وهو ما جعل مساهمتهم في الثورة ذات طابع استراتيجي. (انظر الملحق رقم 11)

خلاصة الفصل

يمثل زواج الجزائري مكونًا هامًا من مكونات الهوية الثقافية الوطنية، ساهم بشكل فعّال في تشكيل ملامح المشهد الفني والاجتماعي والسياسي، التاريخية. وقد أبرز هذا الفصل الدور المركزي الذي لعبته الجاليات الزنجية في ترسيخ أنماط فنية متميزة، على رأسها موسيقى "الديوان"، التي تجاوزت الطابع المحلي لتبلغ مستوى العالمية، جاعلة من الإيقاع والطقوس وسيلة للتعبير.

كما بيّنا كيف ساهم الزوج في الحياة الاجتماعية والسياسية، سواء من خلال اندماجهم في نسيج المدن الصحراوية ومساهماتهم في الحركة التحريرية ضد الاستعمار الفرنسي

الخاتمة

تعد فئة زواج الجزائري جزءاً لا يتجزأ من النسيج السكاني والثقافي للبلاد، وقد كشفت هذه الدراسة - التي حاولت تسليط الضوء على أصولهم الجغرافية والتاريخية، وأنماط اندماجهم في المجتمع الجزائري، إضافة إلى المعتقدات الروحية واللغوية تعبر عن موروثهم الثقافي من عادات وتقاليد - عن هذه الفئة من جهة، و مساهمتها في الهوية الجزائرية من جهة أخرى.

وفيما يلي أهم نتائج هذه الدراسة:

- الأصول الجغرافية للزواج الجزائريين تعود أساساً إلى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، وقد تمركزوا منذ قرون في مناطق جنوبية أبرزها: تيميمون، أدرار، بشار، بني عباس، المنيعية، توات، ورقلة، وعين صالح.
- التأثيرات التاريخية لعبت دوراً كبيراً في توافد الزواج إلى الجزائر، لاسيما من خلال تجارة القوافل العابرة للصحراء، وأيضاً في سياق ظاهرة الاسترقاق، التي ساهمت في إدماجهم تدريجياً في المجتمع المحلي.
- الاندماج الاجتماعي لزوج الجزائري كان تدريجياً، حيث اشتغلوا في عدد من المهن الشاقة والخدمية، كما أن النساء الزنجيات اشتغلن في البيوت والحمامات والأسواق، وكنّ جزءاً من الطقوس المرتبطة بالحياة اليومية الحضرية.
- الموروث الثقافي لهذه الفئة غني ومتنوع، ويظهر بوضوح في طقوسهم الدينية والموسيقية، خاصة في فن الديوان الذي يمزج بين الطقس الروحي والعرض المسرحي والموسيقى الإيقاعية الإفريقية.

- اللغة واللهجات لدى زنج الجزائر تأثرت بالثقافة المحلية، لكنهم حافظوا في بعض المناطق على مفردات ذات أصول زنجية وإفريقية، خاصة في الطقوس والنداءات الموسيقية.

- المعتقدات الدينية لدى الزوج تحمل طابعاً صوفياً، وقد ارتبطت بعدد من الزوايا والأضرحة، وهي تعبير عن تدين شعبي له خصوصياته الرمزية.

- في الجانب السياسي، تميزت مشاركة زنج الجزائر في الثورة التحريرية ببعض الأسماء البارزة

الملاحق

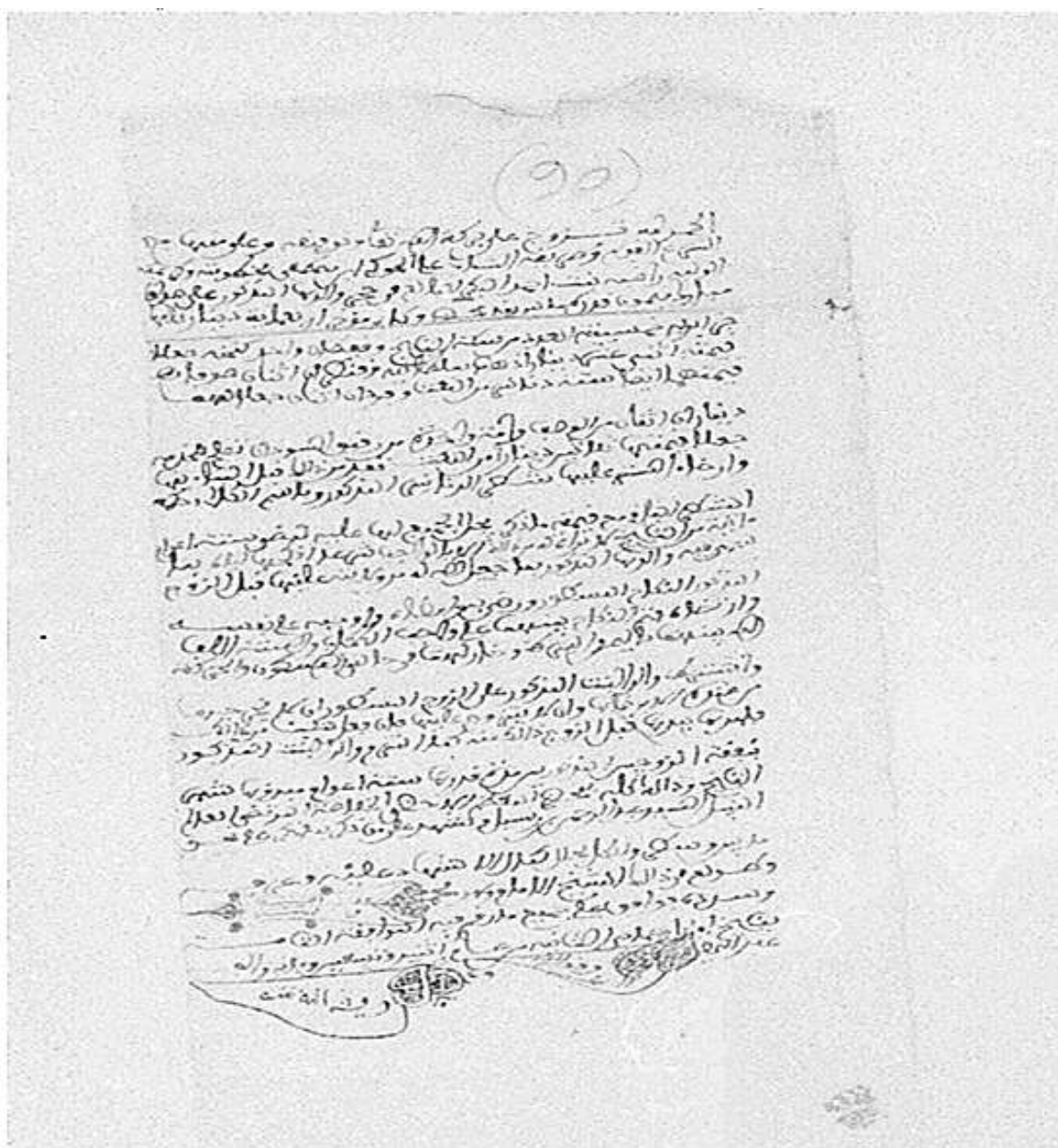
الصفحة	العنوان	الرقم
33	خريطة توضح بلاد السودان قديماً	01
34	عقد زواج يتضمن شرطاً بوجود أمة من رقيق السودان في الصداق	02
36	لوحة للفنان جان باتيست هيوسمان بعنوان " المرأة الجزائرية وطفلها	03
37	الرماة السنغاليين من الجيش الفرنسي	04
38	العمامة	05
39	نموذج عن لباس المرأة الزنجية في الجزائر	06
40	حلي واكسسوارات المرأة الزنجية	07
42	صورة فنيات يعنون فوا فوا	09
43	وقفة احتجاجية للأفارقة السود لتحرير الجزائر و بلدان افريقية اخرى	10
44	تجنيد الزوج للثورة الجزائرية	11

الملحق رقم 01: خريطة توضح بلاد السودان قديما¹⁴³



¹⁴³ سمير دقاشي، مفاهيم أساسية حول إفريقيا جنوب الصحراء، محاضرة رقم 01 قسم التاريخ والآثار، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02، دس، دص

الملحق رقم 02: عقد زواج يتضمن شرطاً بوجود أمة من رقيق السودان في
الصداق 144.

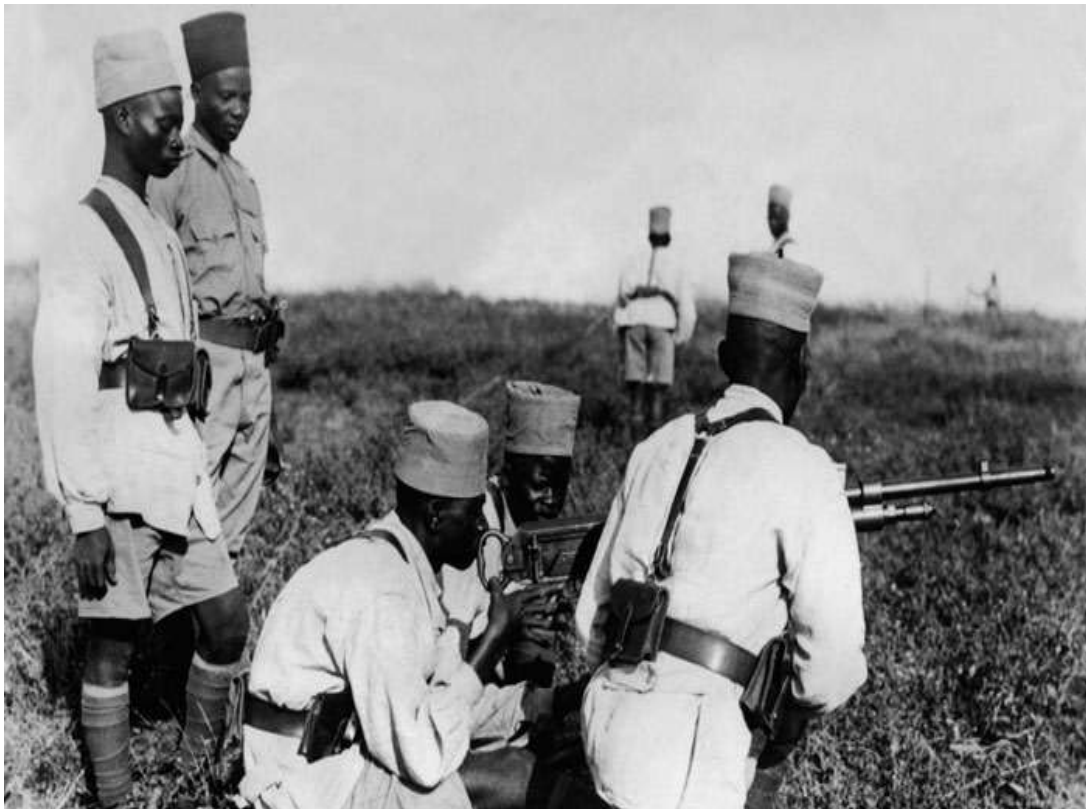


الملحق رقم 03: لوحة للفنان جان باتيست هيوسمان بعنوان " المرأة الجزائرية
وطفلها"¹⁴⁵



¹⁴⁵Jan Baptist HUYSMANS 1826 – 1906, Inscrit au dos «Souvenir de mon 218ème tableau (esquisse retouchée)
/ L'héritier du Caïd - (peint en 1878) et exposé à Liège,

الملحق رقم 04: الرماة السنغاليين من الجيش الفرنسي



الملحق رقم 05: العمامة ¹⁴⁶



¹⁴⁶ هاشمي آمال، الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران - السانوية، 2007-2008، ص147

الملحق رقم 06: نموذج عن لباس المرأة الزنجية في الجزائر¹⁴⁷



¹⁴⁷فيروز بن رمضان، العادات والتقاليد لدى طوارق الجنوب الجزائري الكبيرالأزياء والحلي التقليدية أنموذجا، مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 06، العدد 01

الملحق رقم 07: حلي واكسسوارات المرأة الزنجية¹⁴⁸



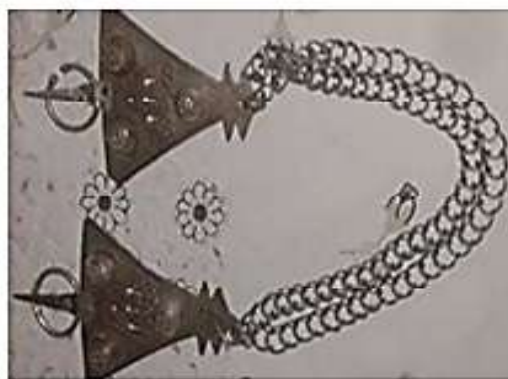
أساور



ديالج



قلادة



نوع آخر من الأساور (المبالة)

¹⁴⁸وسيلة تامزالي، أزياء وحلي نساء الجزائر، ألفا الجزائر، دط، 2007

الملحق 08 :تجمع النساء الزنجيات في العرس



الملحق رقم 09: صورة فتيات يغنون "قوا قوا"¹⁴⁹



¹⁴⁹مريم لمام-محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر "تمنرت" (ولاية الوادي): بين الاستمرارية والتغير، إنسانيات عدد 59، جانفي - مارس 2013، ص 41

الملحق رقم 10: وقفة احتجاجية للأفارقة السود لتحرير الجزائر و بلدان افريقية

اخرى



الملحق رقم 11: تجنيد الزنوج للثورة الجزائرية



9.....	مقدمة
15	المدخل التمهيدي: التعريف بالزواج وخصائصهم
16	مفهوم الزواج و تعريفهم
	خصائص الزواج..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.
	الأصول التاريخية لزواج الجزائر
3.....	الأصول الجغرافية..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.
	1- افريقيا جنوب الصحراء كمصدر عام لزواج الجزائر خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.
	2- بلاد السودان الغربي كموطن رئيسي لزواج الجزائر خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.
31	3- مناطق الاستقرار الرئيسية لزواج الجزائر
	الاندماج في المجتمع الجزائري..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.
	1- الاندماج المهني والاقتصادي..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.
	2- الاندماج الفني والاحتفالي..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.
35	3-الاندماج الاجتماعي والنسائي
	العادات والتقاليد في المعتقد و اللغة عند زواج الجزائر
39	المعتقدات الدينية والروحية
39	1-المعتقدات الدينية لزواج الجزائر قبل الإسلام
43	2-المعتقدات الدينية لزواج الجزائر بعد الإسلام

3-	المعتقدات الدينية والروحية لزوج الجزائر من خلال زيارة ضريح (سيدي أحمد	
46	المجنوب) نموذجا.....	
49	اللغة و اللهجات.....	
49	1- التارقية (تماشيق)	
51	2- اللغة الحسانية	
52	3- اللغة العربية و العامية الجزائرية	
	العادات و التقاليد في الطبوع الاجتماعية و الثقافية	
58	العادات و التقاليد الاجتماعية.....	
58	1-العادات المرتبطة بدورة الحياة و التقاليد اليومية	
68	2- الاكلات الشعبية	
70	3- الاحتفالات الدينية.....	
75	اللباس التقليدي	
75	1- اللباس عند رجال زوج الجزائر	
79	2- اللباس عند النساء من زوج الجزائر	
81	3- الحلي التقليدية لزوج الجزائر.....	
84	الموسيقى و الرقص	
84	1- الأنماط الموسيقية الخاصة	
87	2- الرقص عند زوج الجزائر.....	
	تأثير زوج الجزائر في الثقافة الوطنية	
93	المساهمة في الفنون و الموسيقى	
93	1- الفرق الموسيقية الزنجية في الجزائر و امتداداتها الدينية والاجتماعية	

94	2- فن الديوان ومكانته بين الإبداع المحلي والانتشار العالمي
95	3- الأبعاد الرمزية والطقسية لفن الديوان كأداء مسرحي شعبي
98	دور زنوج الجزائر في المجتمع والسياسة
98	1- الحضور الاجتماعي والديني
99	2- مشاركة الزنوج في الثورة التحريرية
1	الخاتمة..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
104	الملاحق
105	قائمة الملاحق
121	قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

ثانيا: باللغة العربية

1. إبراهيم علي طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، (د. ط)، القاهرة، 1969
2. إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، دار المكتبة العربية، القاهرة، 1970
3. ابن القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، (د. ط)، لبنان، 1992
4. ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة. دار إحياء التراث العربي، ط 4، د. ت
5. ابن خلدون، عبد الرحمن. عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ضبط: خليل شحادة - مر: سهيل زكار. ج 6، ج 7. دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000
6. ابن منظور، لسان العرب، مادة "زنج"، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، د. ت.
7. أبو عبد الله الشريف، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، تح، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د. ط)، الجزائر، 1983
8. أنثوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة و تقديم : خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1991م
9. ادويوش ليفتسكي، دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء الكبرى في العلاقات بين الشمال والجنوب، تاريخ إفريقيا العام، مج 3، ط 2، اليونسكو، 1997
10. إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983
11. الجاحظ، المعجم الوسيط، مؤسسة ثقافية للتأليف و الطباعة و النشر و التوزيع، تركيا، 1989م، ج 2

12. جميلة طلباوي، الخابية (رواية)، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال النشر و الإشهار، الجزائر، 2014
13. جيمس ويلسون ستيفنز: الأسرى الأمريكيان في الجزائر 1785-1797، ترجمة: علي تابلت، دط، منشورات ثلاثة، 2007
14. الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م
15. سليمان باشا الباروني، الازهار الرياضية في أئمة و ملوك الاباضية، مراجعة: محمد علي الصليبي، ط1، دار الحكمة، لندن، بريطانيا، 2005
16. سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في الإستعمالات الناطقين الجزائريين، (د - ط)، كنوز الحكمة، 1432 هـ - 2001 م
17. سيزار فرناندث مورينو- أدب أمريكا اللاتينية - قضايا ومشكلات - ترجمة أحمد حسان عبد الواحد - مراجعة شاكرا مصطفى - عالم المعرفة 116 - أغسطس 1987 م.
18. الشاوي، الدلاهي البكاي، أمازيغ الطوارق عبر العصور، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2007
19. عبد الرحمان بن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج5
20. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق، أبو الوفاء نصر الهوريني، مادة "زنج"، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 2007م
21. مالك بن أنس، الموطأ، أبوها الإمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس ، إخراج وتعليق هاني الحاج، ج. 2، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت
22. محمد الكتاني، العادات و التقاليد و الهوية الوطنية، العادات و التقاليد في المجتمع المغربي ، ندوة لجنة القيم الروحية و الفكرية ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة ندوات مطبعة المعارف الجديدة ، 2008

23. محمد سعيد، القشاط: عرب الصحراء الكبرى التوارق، ط1، الدار العربية للموسوعات، 2008

24. محمود شاكر، السودان، المملكة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م

25. المعجم الوجيز (الميسر) ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، ط1 ، 1414 هـ - 1993 م

26. المغربي ابن سعيد. كتاب الجغرافيا. نج: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1970

27. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985

28. هونكرانس، أيكة، قاموس مصطلحات الأنثروبولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري، و حسن الشامي، دار المعارف، مصر، ط2، 1973

29. ولتر رودني: أوروبا والتخلف في إفريقيا، تر: أحمد قيصر، سلسلة عالم المعرفة، (د. ط)، الكويت، 1998

30. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1

ثالثا: باللغة الأجنبية

1. D'Aranda Emanuel, **Les Captifs d'Alger**, Jean-Paul Rocheu Editeur, Paris, 1997
2. Shaw Thomas, **Voyage dans la régence d'Alger**, Chez Marlin éditeur, Paris, 1830
3. William Graham Sumner, **folkways ,a study of the sociological importance of usages customs, mores and morals**, ginn and company, Boston, 1940

المراجع

أولا: الكتب

1. أبو العيد دودو :الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975
2. أحمد أمين الشنقيطي، تراجم أدباء شنقيط، مطبعة الحضارة، بيروت، ط1،

2004

3. أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تح، نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1987، ج5
4. أحمد ناجم الدين فليحة ، **إفريقيا دراسة عامة إقليمية**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (د.س)
5. إدريس قرقوي، **الطقوس والشعائر الاحتفالية في النص المسرحي الجزائري**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014
6. ادموند دوتي، **السحر والدين في أفريقيا الشمالية**، تر: فريد الزاهي، منشورات مرميس، 2008.دص
7. إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982
8. ألبرت شفيترز، **حكايات أفريقية**، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967
9. بشار أكرم جميل الملاح، **تاريخ الإسلام في إفريقيا**، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، 2014م
10. بفايفر سيمون، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، ترجمة: أبو العيد دودو، دط، دار هومة، الجزائر، 2009
11. البكري ابن عبد الله بن عبد العزيز: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)**، دار الكتاب الإسلامي، (د. ط)، القاهرة، (د. ت)
12. بوطوبة رضوان، **المعتقدات الشعبية وأثرها على زيارة الأضرحة** ضريح سيدي احمد المجذوب نموذجا
13. جوان جوزيف، **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء**، تر. مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1984
14. جوليان فارجيتاس، **الرماة السنغاليون 1939-1945 الجنود السود بين الأساطير والوقائع**، الناشر: تالاندييه - باريس - 2012

15. حامد، خالد. **مدخل إلى علم الاجتماع**، ط2، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012
16. الحسن، إحسان محمد، **موسوعة علم الاجتماع**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999
17. حمادي علال الذاييف، **أضواء على الساقية الحمراء ووادي الذهب لهجة و تقاليد**، دار النشر وزارة الثقافة الصحراوية، ط 1
18. حماه الله ولد سالم، **تاريخ بلاد شنقيطي موريتانيا من العصور القديمة للحروب الشريبه الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1
19. حوتية محمد الصالح :**توات والأزواد** ، ج 1، در الكتاب العربي ، الجزائر، 2007
20. دندش عصمت عبد اللطيف، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ/1038م-515هـ/1121م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988
21. سليم خياط ،**صورة صلاح الهامش و موثقات للعبادة** ، محاضرة ضمن ملتقى بعنوان تصوف ، ثقافة ، موسيقى ، ط 3 ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ ، تمناست ، 2006 ، وزارة الثقافة
22. شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البداء إلى الفتح الإسلامي 647م**، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة، مؤسسة تالنت الثقافية، دط، 2011
23. طرخان إبراهيم علي، **إمبراطورية غانة الإسلامية**، دار المكتبة العربية، القاهرة، 1970
24. عاطف عطية، **المجتمع، الدين والتقاليد**، بحث في إشكالية العلاقة بين الثقافة والدين والسياسة. لبنان، جروس برس، ط 3، 1992
25. عبد الرحمان، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992، ج6

26. عبد العالي دبلة، مدخل إلى التحليل السوسولوجي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011
27. عبد العليم عبد الرحمن خضر، التراث الثقافي للأجناس البشرية في أفريقيا الأصالة والتجدد، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1985
28. عثمان بريماباري: جذور الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، ط1، دار الأمين للطباعة، القاهرة، 2000
29. العربي، إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1983
30. عطا الله شوقي، عبد الرزاق عبدالله، تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، دس
31. عطية مخزوم الفيتوري ، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب صحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، ط1 ، منشورات جامعة قازيونس ، دس
32. متولي محمد و رأفت الشيخ، أفريقيا في العلاقات الدولية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1975م
33. المجيد قدي ،صفحات من تاريخ منطقة أولف ، أبحاث، الجزائر ، ط 2 ، 2007
34. محمد الغربي، بداية الحكم العربي في السودان الغربي، ج 1، الكويت، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، (دس)
35. محمد سالم بن لحبيب بن الحسن بن عبد الحي ، تحقيق و تقديم مصطفى ناعمي ، مصدر المعهد الجامعي للرباط ، ط 1
36. محمد سعيد القشاط، الطوارق عرب الصحراء الكبرى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط4، 2008
37. محمد سعيد القشاط، الطوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ط2، 1989

38. محمد علي الدهني الهامي، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850هـ/1914م)، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1988
39. محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007
40. مقالاتي الله ، نورم محفوظ ،الجنبية الجنوبية الثالثة للهقار ودورها الاستراتيجي في الثورة الجزائرية، دار السبيل، الجزائر، 2009
41. مقالاتي عبد الله وتواتي دحمان،البعد الإفريقي للثورة الجزائرية ودورها في تحرير إفريقيا، دار السبيل، الجزائر، 2009
42. الميجور دنهام وآخرون، رحلة لاستكشاف أفريقيا، ترجمة عبد الله عبد الرازق إبراهيم، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002
43. الميلي، مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986
44. نجمي رجب ضيف، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1999
45. نصر الثريا، تاريخ أزياء الشعوب، القاهرة، دط، 1998م
46. نيحي، جي. دي.: تاريخ غرب إفريقيا، تر: دكتور سيد يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، (د.س)
47. وسيلة تامزالي، أزياء وحلي نساء الجزائر، ألفا الجزائر، دط، 2007
48. وسيلة تامزالي، أزياء وحلي نساء الجزائر، ألفا الجزائر، دط، 2007
49. وليام رو، فيقيا نشلنج، الذاكرة والحداثة، ترجمة منى برنس، المجلس الأعلى للثقافة، 2005
50. وبلد، ليسور :رحلة طريفة في إيالة الجزائر، ترجمة: محمد جيجلي، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2002

51. يوسف روكز، إفريقيا السوداء سياسة وحضارة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م

ثانيا: الدراسات و الأبحاث

1. محمد سعدي، "العائلة، عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر، الظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا، دفا تر إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية"، عدد 04، 2013.
2. علي شيخ، هاجر زيادة، رمزية العادات والتقاليد، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد: 06 عدد: 02 السنة 2020
3. مرجاني عبد القادر، الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات الأوروبية خلال القرن 19م "بول صوليه نموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية، المركز الجامعي آفلو (الأغواط)، العدد : 22، دس.
4. محمد بن عربة، أحلام بوسالم، دور مدينة وارجيلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، مجلة العصر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا الجديدة، العدد 01 جانفي 2021
5. بوبريك رحال، سوق العبيد: تجارة الرق في مغرب القرن التاسع عشر ، مجلة اسطور ، ع 14 ، 2021
6. عبد الحميد عمران، تجارة الرقيق الإفريقي بعد الكشوفات الجغرافية الاوربية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات 4 التاريخية، ع22
7. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم سعيد الحفناوي ،تجارة الرقيق وآثارها على العقل الإفريقي ، 27/5 : 2006.23

8. بوعافية أحمد، توظيف تراث إقليم الساورة بصحراء الجزائر في الرواية الجزائرية المعاصرة قراءة تطبيقية تحليلية في رواية "الخابية" لجميلة طلباوي أنموذجا، مجلة آفاق علمية، المجلد: 11 العدد: 03 ، 2019

9. فطيمة الزهراء حوتية، الفلكلور حافظ الذاكرة الشعبية في منطقة توات-الرقصات والإيقاعات الشعبية نموذجا-، مجلة روافد للبحوث و الدراسات، العدد الرابع (جوان 2018 م)

10. الأصالة: مجلة ثقافية شهرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان، المجلد 21، العدد 67

11. عبدالله لاطرش، الأمثال في اللهجة الحسانية: البنية الجمالية والصورة الاجتماعية، مجلة آفاق علمية، المجلد 13، العدد 03 ، 2021

12. عمر شيخة بلقاسم، اللهجات الجزائرية بين التباعد والانسجام، مجلة الممارسة اللغوية، تيزي وزو، العدد 2، أكتوبر 2018 م

13. مرحوم عبد الرحيم، بن تامي رضا، التاريخ الديني للجزائر - دراسة أنثروبولوجية- ، مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد 01 (العدد المروائي) 15/01/2022

14. مرزدي فاتح وبوخليفي قويدر جمينة، واقع العلاقات السياسية بين دولة المرابطين والسودان الغربي، المجلد 3، العدد 2 ،سبتمبر 2020

15. خيذر جميلة، دحماني سليمان، التنوع الثقافي في الجزائر من خلال الأزياء التقليدية:مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية لمجموعة متحفية تابعة للمركز التفسيري للباس التقليدي، مجلة معالم ،المجلد 13 ،العدد الخاص، السنة 2021

16. فيروز بن رمضان، العادات والتقاليد لدى طوارق الجنوب الجزائري الكبيرالأزياء والحلي التقليدية أنموذجا، مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 06، العدد 01، ص

17. خنيش أحمد، بن جدو عبد القادر محي الدين الجيلالي، سيد أحمد بن بلحبيب، الزواج التقليدي في الأغواط من منظور أنثروبولوجي، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد الأول، العدد الرابع (ديسمبر 2019)
18. مريم لام-محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر "تمنرت" (ولاية الوادي): بين الاستمرارية والتغير، إنسانيات عدد 59، جانفي - مارس 2013
19. إيمان هلال، دراسة سوسيوأنثروبولوجية في الأبعاد الدلالية للأنساق الاحتفالية لموسيقى الديوان، مجلة آفاق علمية، المجلد: 11 العدد: 03 السنة 2019
20. حوار ستيفن ج. كينغ مع سليم خياط، الجزائريون السود: أصوات من مجتمع لا يزال يعاني من التهميش والإقصاء الشديد، مبادرة الإصلاح العربي، حوارات - 2 شباط/فبراير 2021،
21. عطية عبد الكامل، تجارة الرقيق الأوروبية و أثرها على شعوب غرب القارة الإفريقية خلال القرنين الخامس عشر و التاسع عشر الميلاديين ، مجلة "كان التاريخية" ، العدد 20 ، يونيو 2013
22. ستيفن ج. كينغ التهميش والإقصاء ورهاب السود في الجزائر، مبادرة الإصلاح العربي، بواد - 2 شباط/فبراير 2021
23. أورزيفي خديجة، التفاعل الاجتماعي للعبيد السود بمدينة الجزائر في الفترة العثمانية (1552-1830م) **The Social Interaction of Black Slaves in Algiers (1552-1830 A.D)**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 06 العدد 02 جوان 2023
24. فيروز بن رمضان، العادات والتقاليد لدى طوارق الجنوب الجزائري الكبير الأزياء والحلي التقليدية أنموذجاً، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 06، العدد 01
25. مريم لام-محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر "تمنرت" (ولاية الوادي): بين الاستمرارية والتغير، إنسانيات عدد 59، جانفي - مارس 2013

26. محمد عبد الغني السعودي- قضايا إفريقيا - عالم المعرفة - 34 أكتوبر 1980 م.

ثالثا: الرسائل الجامعية و المحاضرات

يحيى الكدواني، مقرر اعمال السنه، المادة / اعمال السنه - الفرقة الثالثة- جغرافيا عام وخرائط -،دس

إسعد فايزة،العادات الإجتماعية و التقاليد في الوسط الحضري بينالتقليد و الحدائهمقاربة سوسيو - أنثروبولوجية لعادات الزواج والختان بمدينةتيوهران و ندرومة نموذجاً، رسالة لنيل شهادة دكتوراة علوم في علم الاجتماع،2011/2012

محمد سعدي، الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق: دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية في الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2007

طارق بن زاوي، محاضرات في مقياس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراءالسنه الثالثة ليسانس تاريخ، قسم التاريخ،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة محمد بوضياف،2018- 2019

خير الدين شترة، المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، قسم التاريخ - جامعة أدرار،دس

جمعة بن زروال، الرق في الجنوب الجزائري في بداية الاحتلال من خلال وثائق أرشيفية فرنسية، جامعة باتنة

عياش حسينة، لعقاقنة حدة، تجارة الرقيق الإفريقي عبر الأطلسي وتأثيرها السياسي والاقتصادي ما بين 15م-19م،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص دراسات إفريقية، قسم العلوم الإنسانية شعبة تاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2017/2018

سعاد يمينة شبوط،البرانية في مدينة الجزائر ما بين 1700-1850 "جماعة البسكرة نموذجاً"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ل. م. د. تخصص: تاريخ حديث ومعاصر، قسم

التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -
2023/2022،

¹ Diego De Haedo : **topographie et histoire générale d'Alger**

ليلي خيراني، واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر 1800-1817، رسالة ماجستير، قسم
التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2006-2007

رماضنية عيشوش و رقاب صافية، التنوع اللغوي واللهجات في الجزائر -دراسة في التعدد
اللغوي- ، مذكرة ماستر في لغة وأدب عربي دراسات لغوية لسانيات تطبيقية، قسم الآداب
واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2021/2022

"مذكرة تخرج لنيل درجة ماستر تخصص أنثروبولوجيا حضرية، قسم علم الاجتماع، كلية
العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2 - محمد بن احمد-

عبد الرحمن عمر الماعي، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي 1900-1960،
أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1984

جعفري عز الدين، شعيب مقنونيف ،أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة
دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018

سعدون مراد، التنمية و التنمية المستدامة في الصحراء الجزائرية دراسة أنثروبولوجية
لإستراتيجيات التنمية المستدامة في إقليم توات، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور
الثالث في أنثروبولوجيا التنمية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2023/2024

مزيان عبد الله ،الأبعاد التربوية في عادات وتقاليد أهالي مغنية ونواحيها، مخطوط رسالة
ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2003/2004

سميرة دعاشي، مفاهيم أساسية حول إفريقيا جنوب الصحراء، محاضرة رقم 01 قسم التاريخ
والآثار؛ تخصص تاريخ حديث ومعاصر؛ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد
لمين دباغين سطيف 02، دس، دص

هاشمي آمال، الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران - السانية، 2007-2008

المواقع الإلكترونية

الصادق محمد آدم، مقال: قضايا الأدب الإفريقي وتحدياته: قضية الزنوجة، نشر في سودانيز يوم، 8/8/2012، المرجع الرقمي :
<https://www.sudaress.com/sudanile/>

كامل الشيرازي، موسيقى "الفوندو" .. روح جنوب الجزائر، إيلاف المغرب مدونات إيلاف، العدد 8756 الأربعاء 16 أبريل 2025، آخر تحديث : الجمعة 20 يونيو 2008

<https://elaph.com/Web/Music/2008/6/339724.htm>

عبد القادر معمر، سيميائيات الجسد في طقوس كناوة: بحث في الهوية والانتماء، موقع أنفاس، 2010.

¹ <http://www.m-culture.gov.dz/mc2/ar/mariage.php>

عثمان دلباني، الغناء في الصحراء الجزائرية ، منتدى سماعي للطرب العربي الأصيل عدد بتاريخ 2007-07-30.

باللغة الأجنبية

1. , traduit en français par : Monnereau et Berbrugger, 1870
2. Dennis D. Cordell, "No Liberty, not much equality, and very little Fraternity: The mirage of manumission in the Algerian Sahara in the second half of the nineteenth Century" Slavery and Abolition 1998
3. Deveau Jean-Michel, Esclaves noirs en Méditerranée, Cahiers de la Méditerranée, N : 65, A : 2002
4. Ian Law, Mediterranean Racisms: Connections and Complexities in the Racialization of the Mediterranean Region, (New York, Palgrave MacMillan, 2014), p. 74

5. **Jan Baptist HUYSMANS** 1826 – 1906, Inscrit au dos «Souvenir de mon 218ème tableau (esquisse retouchée) / L'héritier du Caïd - (peint en 1878) et exposé à Liège,

6. P.H. Vallière: **L'Algérie en 1781**, publication de Lucien Chaillou, imprimerie nouvelle, Toulon, 1974

7. Reda Allali; **les gnaouas mettent le Maroc en transe** ; courrier international ; article publié le 01-10 -2003

8. Renoult: **Alger et sa colonisation avec des considérations sur l'importance de ce pays**, imprimerie de Dupont et Laguionie, Paris, 1832

9. Salim Khiat, **“De la Negrophobie en Algerie: Autopsie des mots qui dissent le mal en couleurs,”** Pouessel editor, Noirs au Maghreb: Enjeux identitaires (Paris: Karthala, 2012).